سورة الزخرف

مكيةٌ بإجماع. وقال مقاتل: إلا قولَه: ﴿وَسْئَلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رُّسُلِنَآ﴾ [الزخرف: ٤٥]، وهي تسعٌ وثمانون آيةً[١].

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

قوله تعالى: ﴿حمٓ ۝١ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ ۝٢ إِنَّا جَعَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ۝٣﴾

قولُه تعالى: ﴿حمٓ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ﴾ تقدَّم الكلامُ فيه[٢]. وقيل: «حم» قسمٌ، «والْكِتَابِ الْمُبِينِ» قسمٌ ثانٍ، ولله أن يُقسمَ بما شاء، والجوابُ: «إِنَّا جَعَلْنَاهُ»[٣]. وقال ابنُ الأنباري[٤]: مَن جعل جوابَ «وَالْكِتَابِ» «حم» كما تقولُ: نزلَ والله، وَجَب والله؛ وقفَ على «الْكِتَابِ الْمُبِين»، ومَن جعلَ جوابَ القسم «إِنَّا جَعَلْنَاهُ»؛ لم يقف على «الْكِتَابِ الْمُبِينِ».

ومعنى: «جَعَلْنَاهُ» أي: سَمَّيناه ووَصفناه[٥]، ولذلك تعدَّى إلى مفعولين[٦]، كقولِه تعالى: ﴿مَا جَعَلَ ٱللَّهُ مِنۢ بَحِيرَةٍ﴾ [المائدة: ١٠٣]. وقال السُّدِّيّ: أي: أَنزلناه قرآناً. مجاهد: قلناه. الزجَّاجُ وسفيان الثَّوْري: بَيَّنَّاه. ﴿عَرَبِيًّا﴾ أي: أنزلناه بلسانِ العرب؛

---

(١) الوسيط ٤/ ٦٣ ، والمحرر الوجيز ٥/ ٤٥ ، والكشاف ٣/ ٤٧٧ ، وزاد المسير ٧/ ٣٠١ ، وتفسير البغوي ٤/ ١٣٣ .

(٢) عند تفسير الآية الأولى من سورة غافر.

(٣) إعراب القرآن للنحاس ٤/ ٩٧ ، والكشاف ٣/ ٤٧٧ ، وتفسير السمرقندي ٣/ ٢٠٢ ، والنكت والعيون ٥/ ٢١٤ .

(٤) في إيضاح الوقف والابتداء ٢/ ٨٨٣ .

(٥) تفسير السمرقندي ٣/ ٢٠٢ ، والبغوي ٤/ ١٣٣ .

(٦) إعراب القرآن للنحاس ٤/ ٩٧ .

لأنَّ كل نبيٍّ أُنزِل كتابُه بلسان قومه؛ قاله سفيانُ الثوري وغيره. وقال مقاتل: لأنَّ لسان أهلِ السماء عربيٌّ[١]. وقيل: المرادُ بالكتاب جميعُ الكتب المنزلة على الأنبياء؛ لأن الكتابَ اسمُ جنس، فكأنَّه أقسم بجميع ما أُنزِل من الكتبِ أنَّه جعلَ القرآنَ عربيًّا. والكنايةُ في قوله: «جَعَلْنَاهُ» ترجعُ إلى القرآن[٢] وإن لم يجرِ له ذكرٌ في هذه السورة، كقولهِ تعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ﴾ [القدر: ١]. ﴿لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾، أي: تفهمون أحكامَه ومعانيَه. فعلى هذا القولِ يكون خاصًّا للعرب دونَ العجم؛ قاله ابنُ عيسى. وقال ابنُ زيد: المعنى: لعلكم تتفكرون، فعلى هذا يكون خطاباً عامًّا للعرب والعجم[٣]. ونُعِت الكتابُ بالمبين؛ لأن الله بيَّن فيه أحكامَه وفرائضَه[٤]، على ما تقدَّم في غير موضع.

قوله تعالى: ﴿وَإِنَّهُۥ فِىٓ أُمِّ ٱلْكِتَٰبِ لَدَيْنَا لَعَلِىٌّ حَكِيمٌ ۝٤﴾

قوله تعالى: ﴿وَإِنَّهُۥ فِىٓ أُمِّ ٱلْكِتَٰبِ﴾ يعني: القرآن في اللوحِ المحفوظ ﴿لَدَيْنَا﴾ عندنا[٥] ﴿لَعَلِىٌّ حَكِيمٌ﴾ أي: رفيعٌ محكم لا يوجد فيه اختلافٌ ولا تناقض؛ قال الله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ لَقُرْءَانٌ كَرِيمٌ فِى كِتَٰبٍ مَّكْنُونٍ﴾ [الواقعة: ٧٧-٧٨] وقال تعالى: ﴿بَلْ هُوَ قُرْءَانٌ مَّجِيدٌ فِى لَوْحٍ مَّحْفُوظٍ﴾ [البروج: ٢١-٢٢]. وقال ابنُ جُريج: المرادُ بقوله تعالى: «وَإِنَّهُ»، أي: أعمالُ الخلقِ من إيمانٍ وكفر، وطاعةٍ ومعصية. «لَعَلِيٌّ»، أي: رفيعٌ عن أن يُنَال فيبدَّل، «حَكِيمٌ»، أي: محفوظ من نقصٍ أو تغيير[٦]. وقال ابن عباس: أَوَّلُ ما خلقَ الله القلمُ، فأمرَه أن يكتبَ ما يريد أن يَخلُق، فالكتابُ عنده، ثم قرأ: ﴿وَإِنَّهُ فِىٓ أُمِّ

---

(١) النكت والعيون ٥/ ٢١٥ .

(٢) الطبري ٢٠/ ٥٤٥ ، والمحرر الوجيز ٥/ ٤٥ .

(٣) النكت والعيون ٥/ ٢١٥ .

(٤) الكلام بنحوه في الكشاف ٣/ ٤٧٧ .

(٥) تفسير البغوي ٤/ ١٣٣ ، والسمرقندي ٣/ ٢٠٢ .

(٦) النكت والعيون ٥/ ٢١٥-٢١٦ .

﴿ٱلْكِتَٰبِ لَدَيْنَا لَعَلِيٌّ حَكِيمٌ﴾[١]. وكسرَ الهمزةَ من «أمِّ الكتاب» حمزةُ والكسائيُّ، وضمَّ الباقون، وقد تقدم[٢].

قوله تعالى: ﴿أَفَنَضْرِبُ عَنكُمُ ٱلذِّكْرَ صَفْحًا أَن كُنتُمْ قَوْمًا مُّسْرِفِينَ ۝٥﴾

قولُه تعالى: ﴿أَفَنَضْرِبُ عَنكُمُ ٱلذِّكْرَ صَفْحًا﴾ يعني: القرآن؛ عن الضَّحاكِ وغيره. وقيل: المرادُ بالذكرِ العذاب، أي: أفنضربُ عنكم العذابَ ولا نعاقبكم على إسرافِكم وكفركم؟ قاله مجاهدٌ وأبو صالح والسُّدّيّ[٣]، ورواه العَوْفي عن ابن عباس. وقال ابنُ عباس: المعنى: أفحسِبتم أن نصفحَ عنكم العذابَ ولمّا تفعلوا ما أُمِرتم به[٤]؟ وعنه أيضاً أنَّ المعنى: أتكذبون بالقرآن ولا تُعاقبون؟ وقال السّدّيّ أيضاً: المعنى: أفنتركُكم سُدًى فلا نأمُركم ولا نَنهاكم؟ وقال قتادة: المعنى: أفنُهلكُكم ولا نأمُركم ولا ننهاكم؟ وعنه أيضاً: أفنُمسك عن إنزالِ القرآن من قبلِ أنكم لا تُؤمنون به فلا نُنزله عليكم[٥]؟ وقاله ابن زيد[٦]. قال قتادة: والله لو كان هذا القرآن رُفِع حين ردَّته[٧] أوائلُ هذه الأمة لهلكوا، ولكن الله كرَّره[٨] عليهم برحمته. وقال الكسائي: أفنطوي عنكم الذكر طَيًّا فلا تُوعَظُون ولا تؤمرون[٩]؟ وقيل: الذِّكرُ: التذكرُ، فكأنه

---

(١) أخرجه الطبري ٢٠/٥٤٦، وذكره البغوي ٤/١٣٣.

(٢) التيسير ص٩٤، والسبعة ص٢٨٨، وسلف ٦/١١٩. وكسرُ الهمزة لحمزة والكسائي في قوله: «في أُمّ» هو عند الوصل، أما عند الابتداء بـ «أُمّ» فبضمّ الهمزة.

(٣) إعراب القرآن للنحاس ٤/٥٨، والنكت والعيون ٥/٢١٦، والمحرر الوجيز ٥/٤٦، وتفسير مجاهد ٢/٥٧٩.

(٤) أخرجه الطبري ٢٠/٥٤٩، والنكت والعيون ٥/٢١٦.

(٥) تفسير البغوي ٤/١٣٤.

(٦) أخرجه الطبري ٢٠/٥٤٩-٥٥٠ بنحوه، والكلام في زاد المسير ٧/٣٠٣.

(٧) في النسخ: ردَّدته، والمثبت من الطبري ٢٠/٥٤٩، والبغوي ٤/١٣٤.

(٨) في (م): ردَّده وكرَّره.

(٩) تفسير البغوي ٤/١٣٤.

قال: أَنترك تذكيرَكم لأنْ كُنتم قوماً مسرفين[١]، في قِراءةِ مَن فَتَح. ومَن كسرَ[٢] جعلَها للشرط وما قبلَها جواباً لها؛ لأنَّها لم تعملْ في اللفظ[٣]. ونظيرُه: ﴿وَذَرُوا۟ مَا بَقِىَ مِنَ ٱلرِّبَوٰٓا۟ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [البقرة: ٢٧٨] وقيل: الجوابُ محذوفٌ دلَّ عليه ما تقدَّم، كما تقول: أنت ظالمٌ إن فعلت[٤]. ومعنى الكسرِ عندَ الزجاج الحالُ[٥]؛ لأنَّ في الكلامِ معنى التقريرِ والتوبيخ. ومعنى ﴿صَفْحًا﴾ إعراضاً؛ يقال: صَفحتُ عن فلانٍ: إذا أَعرضتَ عن ذنبِه، وقد ضربتُ عنه صفحاً: إذا أَعرضتَ عنه وتَركته[٦]. والأصلُ فيه صفحةُ العُنق؛ يقال: أَعرضتُ عنه، أي: وَلَّيتُه صفحةَ عنقي. قال الشاعر:

صَفوحاً فما تلقاكَ إلا بخيلةً فمَنْ مَلَّ منها ذلك الوصلَ مَلَّتِ[٧]

وانتصب «صَفْحاً» على المصدر؛ لأنَّ معنى: «أَفَنَضْرِبُ»: أَفنصفح[٨]. وقيل: التقديرُ: أَفنضربُ عنكم الذكرَ صافحين، كما يقال: جاءَ فلان مشياً[٩]. ومعنى: ﴿مُّسْرِفِينَ﴾ مشركين[١٠]. واختار أبو عبيدة الفتحَ في «أن» ـ وهي قراءةُ ابنِ كثير وأبي عمرو، وعاصم وابن عامر[١١] ـ قال: لأنَّ الله تعالى عاتَبهم على ما كان منهم، وعَلِمَه قبل ذلك من فعلِهم.

---

(١) المحرر الوجيز ٥/ ٤٦ ، وينظر أمالي ابن الشجري ٣/ ١٦٢ .

(٢) وهم: نافع وحمزة والكسائي. السبعة ص٥٨٤ ، والتيسير ص١٩٥ .

(٣) مشكل إعراب القرآن ٢/ ٦٤٩ .

(٤) الوسيط ٤/ ٦٤ .

(٥) معاني القرآن للزجاج، ولفظه فيه: ومن كسرَها فعلى معنى الاستقبال. ٤/ ٤٠٥ ، ونقله عنه ابن الجوزي في زاد المسير ٧/ ٣٠٣ .

(٦) الصحاح (صفح).

(٧) البيت لكثيّر عزة في ديوانه ص٧٧ ، وفيه: صفوحٌ بالرفع. وهو برواية المصنف في زاد المسير ٧/ ٣٠٢ .

(٨) البيان ٢/ ٣٥٢ .

(٩) إعراب القرآن للنحاس ٤/ ٩٨ .

(١٠) تفسير البغوي ٤/ ١٣٤ ، والنكت والعيون ٥/ ٢١٦ ، وزاد المسير ٧/ ٣٠٣ .

(١١) السبعة ص٥٨٤ . قال الطبري ٢٠/ ٥٥١ : الكسر والفتح في الألف في هذا الموضع قراءتان مشهورتان في قرأة الأمصار، صحيحتا المعنى، فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب.

قوله تعالى: ﴿وَكَمْ أَرْسَلْنَا مِن نَّبِيٍّ فِي الْأَوَّلِينَ ۝٦ وَمَا يَأْتِيهِم مِّن نَّبِيٍّ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ۝٧ فَأَهْلَكْنَا أَشَدَّ مِنْهُم بَطْشًا وَمَضَىٰ مَثَلُ الْأَوَّلِينَ ۝٨﴾

قوله تعالى: ﴿وَكَمْ أَرْسَلْنَا مِن نَّبِيٍّ فِي الْأَوَّلِينَ﴾ «كَمْ» هنا خبريةٌ، والمرادُ بها التكثير، والمعنى: ما أكثرَ ما أرسلنا من الأنبياء. كما قال: ﴿كَمْ تَرَكُوا مِن جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ﴾ [الدخان: ٢٥] أي: ما أكثر ما تركوا. ﴿وَمَا يَأْتِيهِم مِّن نَّبِيٍّ﴾ أي: لم يكن يأتيهم نبيٌّ ﴿إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾ كاستهزاءِ قومِك بك، يُعزي نبيَّه محمداً ﷺ ويسلِّيه، ﴿فَأَهْلَكْنَا أَشَدَّ مِنْهُم بَطْشًا﴾ أي: قوماً أشدَّ منهم قوةً. والكنايةُ في «مِنْهُمْ» ترجعُ إلى المشركين المخاطَبين بقوله: «أَفَنَضْرِبُ عَنْكُمُ الذِّكْرَ صَفْحاً»[(١)]، فكنَى عنهم بعد أن خاطبهم. و«أشدّ» نُصِب على الحال. وقيل: هو مفعولٌ، أي: فقد أهلكنا أقوى من هؤلاءِ المشركين في أبدانِهم وأتباعهم، ﴿وَمَضَىٰ مَثَلُ الْأَوَّلِينَ﴾ أي: عقوبتُهم؛ عن قتادة[(٢)]. وقيل: صفة[(٣)] الأولين؛ فَخبَّرهم بأنهم أُهلِكوا على كفرهم؛ حكاه النَّقاشُ والمهدويُّ[(٤)]. والْمَثَلُ: الوصفُ والخبر.

قوله تعالى: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ ۝٩﴾

قوله تعالى: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ﴾ يعني: المشركين ﴿مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ﴾ فأقرُّوا له بالخلقِ والإيجاد، ثم عَبدوا معه غيرَه جهلاً منهم[(٥)]. وقد مضى في غيرِ موضع[(٦)].

---

(١) المحرر الوجيز ٥/ ٤٦ ، وتفسير السمرقندي ٣/ ٢٠٣ ، والكشاف ٣/ ٤٧٨ .

(٢) أخرجه عنه عبد الرزاق في التفسير ٢/ ١٩٤ ، والطبري ٢٠/ ٥٥٣ .

(٣) في (م): صفحة، والكلام بنحوه في إعراب القرآن للنحاس ٤/ ٩٩ ، وتفسير البغوي ٤/ ١٣٤ .

(٤) ذكره بنحوه الماوردي في النكت والعيون ٥/ ٦٤ عن النقاش.

(٥) المحرر الوجيز ٥/ ٤٦ ، وتفسير البغوي ٤/ ١٣٤ .

(٦) ٨/ ٣١٣ وما بعدها.

قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ مَهْدًا وَجَعَلَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا لَّعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٠﴾﴾

قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ مَهْدًا﴾ وَصَف نفسَه سبحانه بكمال القدرة، وهذا ابتداءُ إخبارٍ منه عن نفسِه، ولو كان هذا إخباراً عن قولِ الكفارِ لقالَ: الذي جعلَ لنا الأرض ﴿مِهَادًا﴾: فراشاً وبساطاً. وقد تقدَّم[١]. وقرأ الكوفيون: «مَهْداً»[٢]، ﴿وَجَعَلَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا﴾ أي: معايش. وقيل: طرقاً[٣]، لتَسلُكوا منها إلى حيثُ أردتم، ﴿لَّعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ فتَستدلون بمقدوراتِه على قدرتِه. وقيل: «لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ» في أسفارِكم؛ قاله ابنُ عيسى. وقيل: لعلَّكم تعرفون نعمةَ الله عليكم؛ قاله سعيد بنُ جبير. وقيل: تَهتدون إلى معايشكم[٤].

قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِى نَزَّلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءًۢ بِقَدَرٍ فَأَنشَرْنَا بِهِۦ بَلْدَةً مَّيْتًا كَذَٰلِكَ تُخْرَجُونَ ﴿١١﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِى نَزَّلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءًۢ بِقَدَرٍ﴾ قال ابنُ عباس: أي: لا كما أُنزل على قومِ نوحٍ بغير قدر حتى أَغرقهم، بل هو بقدرٍ لا طوفانٌ مغرِقٌ، ولا قاصرٌ عن الحاجة[٥]، حتى يكون معاشاً لكم ولأنعامكم، ﴿فَأَنشَرْنَا﴾ أي: أَحيينا[٦] ﴿بِهِۦ﴾ أي: بالماء ﴿بَلْدَةً مَّيْتًا﴾ أي: مُقفِرةً من النبات، ﴿كَذَٰلِكَ تُخْرَجُونَ﴾ أي: من قبورِكم؛ لأنَّ مَن قدر على هذا قدر على ذلك. وقد مضى في «الأعراف» مجوَّداً[٧].

---

(١) ١٤/ ٧٨.

(٢) السبعة ص٤١٨، والتيسير ص١٥١.

(٣) تفسير الطبري ٢٠/ ٥٥٤، والنكت والعيون ٥/ ٢١٧.

(٤) النكت والعيون ٥/ ٢١٧.

(٥) الوسيط للواحدي ٤/ ٦٥.

(٦) تفسير البغوي ٤/ ١٣٤، وزاد المسير ٧/ ٣٠٤.

(٧) ٩/ ٢٥٥.

وقرأ يحيى بنُ وثَّاب والأعمشُ، وحمزةُ والكسائي، وابنُ ذَكْوان عن ابن عامر: «تَخْرُجُونَ» بفتح التاءِ وضم الراء. الباقون على الفعلِ المجهول[١].

قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْأَزْوَٰجَ كُلَّهَا وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلْفُلْكِ وَٱلْأَنْعَٰمِ مَا تَرْكَبُونَ ﴿١٢﴾ لِتَسْتَوُۥا۟ عَلَىٰ ظُهُورِهِۦ ثُمَّ تَذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ رَبِّكُمْ إِذَا ٱسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ وَتَقُولُوا۟ سُبْحَٰنَ ٱلَّذِى سَخَّرَ لَنَا هَٰذَا وَمَا كُنَّا لَهُۥ مُقْرِنِينَ ﴿١٣﴾ وَإِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا لَمُنقَلِبُونَ ﴿١٤﴾﴾

فيه خمسُ مسائل:

الأولى: قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْأَزْوَٰجَ﴾ أي: واللهُ الذي خلقَ الأزواج. قال سعيدُ بنُ جبير: أي: الأصنافَ كلَّها. وقال الحسن: الشتاء والصيف، واللَّيل والنهار، والسماوات والأرض، والشمس والقمر، والجنة والنار. وقيل: أزواج الحيوانِ من ذكرٍ وأنثى؛ قاله ابن عيسى. وقيل: أرادَ أزواجَ النبات، كما قال تعالى: ﴿وَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ﴾ [ق: ٧]، و﴿مِن كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ﴾ [الشعراء: ٧]. وقيل: ما يتقلَّبُ فيه الإنسانُ من خيرٍ وشرّ، وإيمانٍ وكفر، ونفعٍ وضر، وفقرٍ وغنى، وصحةٍ وسقم[٢].

قلت: وهذا القولُ يعمُّ الأقوال كلَّها ويجمعها بعمومه.

﴿وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلْفُلْكِ﴾: السفن ﴿وَٱلْأَنْعَٰمِ﴾: الإبل ﴿مَا تَرْكَبُونَ﴾ في البر والبحر، ﴿لِتَسْتَوُۥا۟ عَلَىٰ ظُهُورِهِۦ﴾ ذكَّر الكنايةَ؛ لأنه ردَّه إلى ما في قوله: «ما تَرْكَبُونَ»؛ قاله أبو عبيد[٣]. وقال الفرَّاء[٤]: أضافَ الظهورَ إلى واحدٍ؛ لأنَّ المرادَ به الجنسُ، فصار الواحدُ في معنى الجمعِ بمنزلةِ الجيش[٥] والجند، فلذلك ذكَّر وجمع الظهور،

(١) السبعة ص٥٨٤، والتيسير ص١٠٩، والمحرر الوجيز ٥/ ٤٧، وزاد المسير ٧/ ٣٠٤، ووقع في (م) و(د): يخرجون بفتح الياء، وهو خطأ.

(٢) النكت والعيون ٥/ ٢١٧. دون: قول: أراد أزواج النبات، وهو في تفسير السمرقندي ٣/ ٢٠٣.

(٣) في زاد المسير ٧/ ٣٠٤: أبو عبيدة.

(٤) في معاني القرآن ٣/ ٢٨.

(٥) في (د) و(ظ): الجنس، والكلام أيضاً بنحوه في تفسير الطبري ٢٠/ ٥٥٦-٥٥٧.

أي: على ظهورِ هذا الجنس.

الثانية: قال سعيدُ بن جبير: الأنعامُ هنا الإبلُ والبقر. وقال أبو معاذ: الإبلُ وحدَها، وهو الصحيحُ؛ لقولهِ عليه الصلاة والسلام: «بينما رجلٌ راكبٌ بقرةً إذ قالت له: لَمْ أُخلَق لهذا، إنما خُلِقتُ للحرث». فقال النبيُّ ﷺ: «آمنتُ بذلك أنا وأبو بكر وعمرُ». وما هما في القوم. وقد مضى هذا في أوّل سورةِ النحل مستوفى. والحمدُ لله[١].

الثالثة: قولُه تعالى: ﴿لِتَسْتَوُۥا عَلَىٰ ظُهُورِهِۦ﴾ يعني به الإبل خاصَّةً بدليلِ ما ذكرنا، ولأنَّ الفُلكَ إنما تُركب بطونُها، ولكنه ذكَرهما جميعاً في أوّل الآية وعطف آخرها على أحدِهما. ويحتمل أن يجعلَ ظاهرها باطنها[٢]؛ لأن الماءَ غَمَره وسَتره، وباطنها ظاهراً[٣]؛ لأنَّه انكشفَ للظاهرين وظهرَ للمبصرين.

الرابعة: قولُه تعالى: ﴿ثُمَّ تَذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ رَبِّكُمْ إِذَا ٱسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ﴾ أي: ركبتم عليه، وذِكرُ النِعمةِ هو الحمدُ لله على تسخيرِ ذلك لنا في البرِّ والبحر. ﴿وَتَقُولُوا۟ سُبْحَٰنَ ٱلَّذِى سَخَّرَ لَنَا هَٰذَا﴾ أي: ذلَّل لنا هذا المركبَ[٤]. في قراءةِ عليّ بن أبي طالب: «سُبْحَانَ مَنْ سَخَّرَ لَنَا هَذَا»[٥]. ﴿وَمَا كُنَّا لَهُۥ مُقْرِنِينَ﴾ أي: مطيقين؛ في قولِ ابن عباس والكلبي[٦]. وقال الأخفشُ وأبو عبيدة: «مُقْرِنِينَ» ضابطين[٧]. وقيل: مماثلين في

---

(١) ١٢/ ٢٧٧، والحديث أخرجه أحمد (٨٩٦٣)، والبخاري (٣٤٧١)، ومسلم (٢٣٨٨)، عن أبي هريرة ﷺ. قوله: وما هما بالقوم، أي: ليسا حاضرَيْن، والعبارة عند البخاري ومسلم: وما هما ثَمَّ.

(٢) في النسخ الخطية: باطنهما، والمثبت من (م) وهو الموافق لما في أحكام القرآن لابن العربي ٤/ ١٦٦٤. والكلام منه.

(٣) في أحكام القرآن: ظاهر.

(٤) الوسيط ٤/ ٦٥، والنكت والعيون ٥/ ٢١٨.

(٥) لم نقف عليها عند غير المصنف.

(٦) النكت والعيون ٥/ ٢١٨، وأخرج الطبري ٢٠/ ٥٥٩ قول ابن عباس.

(٧) مجاز القرآن لأبي عبيدة ٢/ ٢٠٢، وقول الأخفش في النكت والعيون ٥/ ٢١٨.

الأَيْد والقوَّة؛ من قولهم: هو قِرنُ فلانٍ، إذا كان مثلَه في القوَّة. ويقال: فلان مُقْرِن لفلان، أي: ضابط له. وأَقرنتُ كذا، أي: أَطقتُه. وأَقرنَ له، أي: أَطاقه وقوِيَ عليه، كأنه صارَ له قِرْناً. قال الله تعالى: «وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ» أي: مطيقين. وأنشدَ قُطْرب قولَ عمرو بنِ مَعْد يكَرِب:

لقد علمَ القبائلُ ما عُقيلٌ لنا في النائباتِ بمُقرنينا[١]

وقال آخرُ:

رَكبتُم صَعْبَتي أشَراً وَحَيْفاً ولستم للصِّعاب بمقرنينا[٢]

والمُقْرِنُ أيضاً: الذي غلبته ضَيعتُه، يكونُ له إبلٌ أو غنمٌ ولا معينَ له عليها، أو يكون يسقي إبلَه ولا ذائدَ له يَذودُها[٣]. قال ابنُ السِّكّيت: وفي أصلِه قولان: أحدهما: أنه مأخوذٌ من الإقرانِ، يقال: أقرنَ يُقرنُ إقراناً إذا أَطاق. وأَقرنتَ كذا: إذا أَطقتَه وحكمتَه، كأنه جعله في قَرَن ـ وهو الحبلُ ـ فأَوثقه به وشدَّه. والثاني: أنَّه مأخوذٌ من المقارنةِ وهو أن يقرنَ بعضَها ببعض في السير. يقال: قَرَنتُ كذا بكذا: إذا ربطتَه به وجعلتَه قرينَه[٤].

الخامسة: علَّمنا اللهُ سبحانه ما نقولُ إذا رَكبنا الدَّوابَّ، وعرَّفَنا في آيةٍ أخرى على لسانِ نوح عليه السلام ما نقولُ إذا رَكبنا السفن، وهي قوله تعالى: ﴿وَقَالَ ٱرْكَبُوا۟ فِيهَا بِسْمِ ٱللَّهِ مَجْرٖىٰهَا وَمُرْسَىٰهَآ ۚ إِنَّ رَبِّى لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [هود: ٤١][٥] فكم من راكبٍ دابَّةً عَثَرت به أو شَمَسَت، أو تَقَحَّمت أو طَاحَ من ظهرِها فهلك[٦]، وكم مِن راكبين في سفينةٍ

---

(١) النكت والعيون ٥/ ٢١٨ .

(٢) البيت للكميت بن زيد الأسدي وهو في ديوانه ص٤٦٢ ، ووقع في (ظ): وحيناً، بدل: وحيفاً، وهي رواية أبي عبيدة في مجاز القرآن ٢/ ٢٠٢ ، وقال شارح ديوان الكميت: أي: ركبتم أمري، وأشراً: بطراً.

(٣) الصحاح (قرن).

(٤) أحكام القرآن لابن العربي ٤/ ١٦٦٤ ، والنكت والعيون ٥/ ٢١٨ .

(٥) أحكام القرآن لابن العربي ٤/ ١٦٦٤ .

(٦) في (د) و(ظ): فهلكت.

انكسرتْ بهم فغرِقوا، فلمَّا كان الركوبُ مباشرةَ أمرٍ مخطر واتصالاً بسبب[١] من أسبابِ التلفِ؛ أُمِر ألَّا ينسى عندَ اتصالِه به يومَه، وأنه هالكٌ لا محالةَ فمنقلبٌ إلى الله عزَّ وجل غير منفلتٍ من قضائِه، ولا يَدع ذكرَ ذلك بقلبِه ولسانِه حتى يكون مستعدًّا للقاءِ الله بإصلاحِه من نفسِه، والحذر من أن يكونَ ركوبُه ذلك من أسبابِ موتِه في علمِ الله وهو غافلٌ عنه.

حكى سليمانُ بنُ يسار أنَّ قوماً كانوا في سفرٍ، فكانوا إذا ركبوا قالوا: «سُبْحَانَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ» وكان فيهم رجلٌ على ناقةٍ له رَازِمٍ ـ وهي التي لا تتحرَّكُ هُزالاً[٢] ـ فقال: أمَّا أنا فإني لِهذه لَمُقرِنٌ. قال: فقَمَصت به، فدَقَّت عنقَه. ورُوي أنَّ أعرابيًّا ركب قَعوداً له، وقال: إني لَمقرِنٌ له، فركضت به القعودُ حتى صَرَعته، فاندقَّت عنقُه. ذكر الأوَّلَ الماورديُّ، والثانيَ ابنُ العربي[٣]. قال[٤]: وما ينبغي لعبدٍ أن يدعَ قولَ هذا، وليس بواجبٍ ذكره باللسان؛ فيقول متى ركبَ وخاصَّةً في السفرِ إذا تذكَّر: «سُبْحَانَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ وَإِنَّا إِلَى رَبِّنَا لَمُنْقَلِبُونَ»، اللهمَّ أنت الصاحب في السفر، والخليفةُ في الأهل والمال[٥]، اللهمَّ إني أعوذُ بك من وَعْثاء السفر، وكآبةِ المنقلَب، والحَوْر بعدَ الكَوْر، وسوءِ المنظر في الأهلِ والمال. يعني بـ «الحَور بعد الكور» تَشتُّتَ أمرِ الرجلِ بعد اجتماعِه.

وقال عمرُو بنُ دِينار: ركبتُ مع أبي جعفر إلى أرضٍ له نحوَ حائطٍ يقالُ لها:

---

(١) في النسخ: أمر محظور واتصالاً بأسباب، والمثبت من الكشاف ٣/ ٤٨٠ والكلام منه.

(٢) وقع بعدها في (ف) و(م) ما نصُّه: الرازم من الإبل: الثابت على الأرض لا يقوم من الهُزال، وقد رَزَمت الناقة ترزُم وترزِم رُزوماً ورُزاماً: قامت من الإعياء والهُزال، فلم تتحرك، فهي رازم. قاله الجوهري في الصحاح. اهـ. وهذا الكلام قد أُقحم في نص هاتين النسختين، فقد وقع حاشيةً في هامش كلٍّ من (ز) و(ك)، ولم يرد في (د) و(ظ).

(٣) الماوردي في النكت والعيون ٥/ ٢١٨ ، وابن العربي في أحكام القرآن ٤/ ١٦٦٥ .

(٤) أي: ابن العربي.

(٥) هو بنحوه عند مسلم (١٣٤٢) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما.

مدركة، فركبَ على جملٍ صَعْبٍ فقلتُ له: أبا جعفر! أَما تخاف أن يصرعَك. فقال: إنَّ رسول الله ﷺ قال: «على سنامِ كلِّ بعيرٍ شيطانٌ إذا ركبتموها، فاذكروا اسمَ اللهِ كما أَمركم ثم امتهنوها لأنفسِكم، فإنَّما يحملُ الله»[1].

وقال عليّ بن ربيعة: شهدتُ عليَّ بن أبي طالب ركبَ دابةً يوماً فلمَّا وضعَ رجلَه في الرِّكابِ قال: باسم الله، فلما استوى على الدابةِ قال: الحمدُ لله، ثم قال: «سُبْحَانَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ. وَإِنَّا إِلَى رَبِّنَا لَمُنْقَلِبُونَ» ثم قال: الحمدُ لله والله أكبر ـ ثلاثاً ـ اللهمَّ لا إله إلا أنتَ، ظلمتُ نفسي فاغفر لي، إنَّه لا يغفرُ الذنوبَ إلا أنت؛ ثم ضحكَ، فقلت له: ما أَضحكَك؟ قال: رأيتُ رسولَ الله ﷺ صنعَ كما صنعتُ، وقال كما قلتُ، ثم ضحكَ، فقلت له: ما يُضحِكُك يا رسولَ الله؟ قال: «العبدُ، أو قال: عجباً لعبدٍ أن يقولَ: اللهمَّ لا إلهَ إلا أنت. ظلمتُ نفسي فاغفر لي، فإنَّه لا يغفرُ الذنوبَ إلا أنت. يعلم أنه لا يغفرُ الذنوب غيره». خَرَّجه أبو داود الطيالسي في «مسنده»[2]، وأبو عبدِ الله محمدُ بنُ خُوَيْزِمَنْدَاد في «أحكامه».

وذكر الثعلبيُّ نحوَه مختصراً عن عليٍّ ﷺ، ولفظُه عنه: أنَّ النبيَّ ﷺ كانَ إذا وضعَ رجلَه في الرِّكابِ قال: «باسمِ الله، فإذا استوى قال: الحمدُ للهِ على كلِّ حال، سبحانَ الذي سخَّر لنا هذا وما كنَّا له مُقْرِنينَ وإنَّا إلى ربِّنا لمنقلبون. وإذا نَزلتم من الفلكِ والأنعام فقولُوا: اللهمَّ أَنزلنا منزلاً مباركاً وأنتَ خير المنزلين».

وروى ابنُ أبي نجيح، عن مجاهد قال: مَن ركبَ ولم يقل: «سُبْحَانَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ» قال له الشيطانُ: تَغَنَّه؛ فإن لم يحسن قال له: تمنَّه. ذكره النَّحاسُ[3].

---

(١) أخرجه عبد الرزاق في المصنف (٩٢٣٩) من طريق عمرو بن دينار، عن أبي جعفر محمد بن علي بن حسين، عن النبي ﷺ، مرسلاً. وأخرجه مرفوعاً أحمد (١٧٩٣٨) (١٧٩٣٩)، من حديث أبي لاس الخزاعي ﷺ، و(١٦٠٣٩)، من حديث حمزة الأسلمي ﷺ.

(٢) برقم (١٣٢)، وهو عند أحمد (١٠٥٦)، والكلام السالف في أحكام القرآن لابن العربي ٤/ ١٦٦٥.

(٣) في معاني القرآن ٦/ ٣٤٠، وينظر تفسير السمرقندي ٣/ ٢٠٤.

ويستعيذُ بالله من مقامِ مَن يقول لقرنائه: تعالَوْا نَتنزَّه على الخيلِ أو في بعضِ الزوارق، فيركبونَ حاملينَ مع أنفسِهم أواني الخمرِ والمعازف، فلا يزالون يسقون[١] حتى تُمَلّ طلاهم وهم على ظهورِ الدوابّ، أو في بطونِ السفن وهي تجري بهم، لا يذكرونَ إلا الشيطان، ولا يمتثلون إلا أوامرَه. الزَّمخشريُّ[٢]: ولقد بلغني أنَّ بعضَ السلاطين ركبَ وهو يشرب الخمرَ من بلد إلى بلد بينهما مسيرةُ شهر، فلم يَصْحُ إلا بعدَ ما اطمأنَّت به الدار، فلم يشعرْ بمسيرهِ ولا أحسَّ به؛ فكم بينَ فعلِ أولئك الراكبين، وبينَ ما أمر الله به في هذه الآية؟!

قوله تعالى: ﴿وَجَعَلُوا لَهُۥ مِنْ عِبَادِهِۦ جُزْءًا ۚ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَكَفُورٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَجَعَلُوا لَهُۥ مِنْ عِبَادِهِۦ جُزْءًا﴾ أي: عِدْلاً؛ عن قتادة[٣]. يعني: ما عُبِد من دون الله عزَّ وجلَّ. الزجاجُ[٤] والمبرِّدُ: الجزءُ هاهنا البناتُ، عجَّب المؤمنينَ من جهلِهم؛ إذ أقرُّوا بأنَّ خالق السماوات والأرض هو اللهُ، ثم جعلوا له شريكاً أو ولداً، ولم يعلموا أنَّ من قدرَ على خلق السماوات والأرض لا يحتاج إلى شيء يعتضدُ به أو يستأنسُ به؛ لأنَّ هذا من صفات النقص. قال الماورديّ: والجزءُ عندَ أهلِ العربية البناتُ، يقال: قد أَجزأتِ المرأةُ: إذا وَلدتِ البناتِ، قال الشاعرُ:

إنْ أَجزأتْ حُرَّةٌ يوماً فلا عجبٌ ... قد تُجزئ الحُرَّةُ المِذكارُ أحيانا[٥]

الزمخشري[٦]: ومِن بِدعِ التفاسير تفسيرُ الجزءِ بالإناث، وادِّعاء أنَّ الجزء في لغةِ

(١) في (م): يستقون.

(٢) في الكشاف ٣/ ٤٨٠ ، وما قبله.

(٣) أخرجه عبد الرزاق في التفسير ٢/ ١٩٥ ، والطبري ٢٠/ ٥٦١ .

(٤) في معاني القرآن ٤/ ٤٠٦ .

(٥) النكت والعيون ٥/ ٢١٩ . والبيت أيضاً في المحرر الوجيز ٥/ ٤٨ ، ومعاني القرآن للزجاج ٤/ ٤٠٧ ، وإعراب القرآن للنحاس ٤/ ١٠١ وزاد المسير ٧/ ٣٠٥ ، واللسان (جزأ).

(٦) الكشاف ٣/ ٤٨١ .

العرب اسمٌ للإناث، وما هو إلا كذبٌ على العرب، ووضعٌ مستحدَثٌ منحول، ولم يُقنعهم ذلك حتى اشتقُّوا منه: أجزأتِ المرأة، ثم صنعوا بيتاً، وبيتاً:

إنْ أَجزأَت حرةٌ[١] يوماً فلا عجبٌ

زُوِّجْتُهَا من بناتِ الأوسِ مُجزِئة[٢]

وإنَّما قولُه: «وَجَعَلُوا لَهُ مِنْ عِبَادِهِ جُزْءاً» متصلٌ بقوله: «وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ» أي: ولئن سألتَهم عن خالقِ السماوات والأرض لَيعترفُنَّ به، وقد جعلوا له مع ذلك الاعترافِ من عبادهِ جزءاً، فَوصفوه بصفات المخلوقين. ومعنى «مِنْ عِبَادِهِ جُزْءاً» أنْ قالوا: الملائكةُ بناتُ الله، فجعلوهم جزءاً له وبعضاً، كما يكون الولدُ بَضْعَةً من والدِه وجزءاً له، وقُرئ «جُزُؤا» بضمتين[٣]. ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ﴾ يعني: الكافر[٤] ﴿لَكَفُورٌ مُّبِينٌ﴾ قال الحسنُ: يَعُدُّ المصائبَ وينسى النعمَ[٥]. «مُبِينٌ»: مظهرٌ الكفرَ.

قوله تعالى: ﴿أَمِ ٱتَّخَذَ مِمَّا يَخْلُقُ بَنَاتٍ وَأَصْفَىٰكُم بِٱلْبَنِينَ ﴿١٦﴾﴾

قوله تعالى: ﴿أَمِ ٱتَّخَذَ مِمَّا يَخْلُقُ بَنَاتٍ﴾ الميمُ صِلةٌ، تقديره: أتخذَ ممَّا يخلقُ بناتٍ كما زعمتم أنَّ الملائكةَ بنات الله؟ فلفظُه لفظُ الاستفهام ومعناهُ التوبيخ. ﴿وَأَصْفَىٰكُم بِٱلْبَنِينَ﴾ أي: اختصَّكم وأخلصكم بالبنين[٦]، يقال: أَصفيتُه بكذا، أي: آثرتُه به. وأَصفيتُه الوُدَّ: أخلصتُه له. وصافيتُه وتصافينا: تَخالصنا[٧]. عَجِبَ من إضافتِهم إلى الله اختيارَ البنات مع اختيارِهم لأنفسهم البنين، وهو مقدَّس عن أن

---

(١) في النسخ الخطية: حمدة، والمثبت من المصادر، وهذا الشطر هو نفسه صدر البيت السالف قبله.

(٢) هو صدر بيت، وعجزه: للعوسج اللَّدْنِ في أبياتها زَجَلُ، وهو في مجالس ثعلب ص١٤٥، واللسان (جزأ)، وصدر البيت هذا والذي قبله في الكشاف ٣/ ٤٨١، والكلام بعده منه.

(٣) لم نقف عليها عند غير الزمخشري.

(٤) تفسير البغوي ٤/ ١٣٥، وزاد المسير ٧/ ٣٠٥، والوسيط للواحدي ٤/ ٦٦.

(٥) النكت والعيون ٥/ ٢١٩.

(٦) الوسيط ٤/ ٦٦، وزاد المسير ٧/ ٣٠٥.

(٧) الصحاح (صفا).

يكون له ولدٌ إن توهَّم جاهل أنه اتخذَ لنفسه ولداً، فهلَّا أضافَ إليه أرفعَ الجنسين! ولمَ جعل هؤلاء لأنفسِهم أشرفَ الجنسين وله الأخسَّ؟ وهذا كما قال الله تعالى: ﴿أَلَكُمُ ٱلذَّكَرُ وَلَهُ ٱلْأُنثَىٰ تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَىٰٓ﴾ [النجم: ٢١-٢٢].

وقوله تعالى: ﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِمَا ضَرَبَ لِلرَّحْمَٰنِ مَثَلًا ظَلَّ وَجْهُهُۥ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ﴿١٧﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِمَا ضَرَبَ لِلرَّحْمَٰنِ مَثَلًا﴾ أي: بأنَّه وُلِدت له بنتٌ ﴿ظَلَّ وَجْهُهُۥ﴾ أي: صارَ وجهُه ﴿مُسْوَدًّا﴾ قيل: ببطلانِ مَثَلِه الذي ضربه. وقيل: بما بُشِّر به من الأنثى[1]، دليلُه في سورة النحل ﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِٱلْأُنثَىٰ﴾ [النحل: ٥٨].

ومِن حالِهم أنَّ أحدَهم إذا قيل له: قد وُلِدت له أنثى اغتمَّ واربدَّ وجهُه غيظاً وتأسُّفاً وهو مملوءٌ من الكرب. وعن بعضِ العربِ أنَّ امرأَتَه وَضعت أنثى، فهجرَ البيتَ الذي فيه المرأةُ، فقالت:

ما لِأبي حمزةَ لا يأتينا ... يَظَلُّ في البيتِ الذي يلينا
غضبانَ ألَّا نلدَ البنينا ... وإنَّما نأخذُ ما أُعطينا[2]

وقُرِئ: مُسودٌّ، ومسوادٌّ[3].

وعلى قراءةِ الجماعةِ يكون وجهُه اسمَ «ظلَّ»، و«مُسْوَدًّا» خبرَ «ظَلَّ». ويجوزُ أن يكونَ في «ظَلَّ» ضميرٌ عائد على «أحد» وهو اسمُها، و«وَجْهُهُ» بدل من الضميرِ، و«مُسْوَدًّا» خبر «ظَلَّ». ويجوز أن يكون رُفِعَ «وَجْهُهُ» بالابتداء، ويرفع «مُسْوَدًّا» على أنه

---

(١) النكت والعيون ٥/ ٢١٩.

(٢) الرَّجز في الكشاف ٣/ ٤٨٢ وفيه قبل البيت الأخير: ليس لنا من أمرنا ما شينا. وفي البيان والتبيين ١/ ١٨٦ و ٤/ ٤٧. وفيه زيادة على ما أورده المصنف.

(٣) لم نقف عليها عند غير الزمخشري ٣/ ٤٨٢؛ قال: على أن في «ظلَّ» ضمير المبشّر، و«وجهه مسودٌّ» جملة واقعة موقع الخبر. وسيذكر المصنف جواز هذا الوجه لغةً، وذكر ذلك الفراء في معاني القرآن ٣/ ٢٨، والنحاس في إعراب القرآن ٤/ ١٠٢، ولم يذكرا أنها قراءة.

خبرُه، وفي «ظَلَّ» اسمُها، والجملةُ خبرُها. ﴿وَهُوَ كَظِيمٌ﴾ أي: حزين؛ قاله قتادةُ. وقيل: مكروبٌ؛ قاله عكرمة. وقيل: ساكت؛ قاله ابنُ أبي حاتم؛ وذلك لفسادِ مَثَله وبطلانِ حجتِه[١]. ومَن أجازَ أن تكون الملائكةُ بناتِ الله فقد جعلَ الملائكةَ شِبهاً لِله؛ لأنَّ الولدَ من جنس الوالد وشبهه[٢]. ومَنِ اسودَّ وجهُه بما يُضاف إليه ممَّا لا يرضى، أولى من أن يسودَّ وجهُه بإضافةِ مثل ذلك إلى مَن هو أجلُّ منه، فكيف إلى اللهِ عزَّ وجل! وقد مضى في «النحلِ» في معنى هذه الآية ما فيهِ كفايةٌ[٣].

قوله تعالى: ﴿أَوَمَن يُنَشَّؤُا۟ فِى ٱلْحِلْيَةِ وَهُوَ فِى ٱلْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ ﴿١٨﴾ وَجَعَلُوا۟ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ ٱلَّذِينَ هُمْ عِبَٰدُ ٱلرَّحْمَٰنِ إِنَٰثًا ۚ أَشَهِدُوا۟ خَلْقَهُمْ ۚ سَتُكْتَبُ شَهَٰدَتُهُمْ وَيُسْـَٔلُونَ ﴿١٩﴾﴾

قوله تعالى: ﴿أَوَمَن يُنَشَّؤُا۟ فِى ٱلْحِلْيَةِ﴾ **فيه مسألتان:**

الأُولى: قوله تعالى: ﴿أَوَمَن يُنَشَّؤُا۟﴾ أي: يُرَبَّى و يَشِبُّ. والنُّشوءُ: التربيةُ[٤]، يقال: نَشأتُ في بني فلان نَشْئاً ونشوءاً: إذا شَبَبْتَ فيهم، ونُشِّئ وأُنشئ بمعنًى[٥]. وقرأ ابنُ عباس، والضحَّاكُ وابنُ وَثَّاب، وحفصٌ وحمزة، والكسائيُّ وخلف: «يُنَشَّأ» بضم الياءِ وفتح النونِ وتشديد الشين، أي: يُربَّى ويَكْبَر في الحِلْية. واختاره أبو عبيد؛ لأنَّ الإسنادَ فيها أعلى. وقرأ الباقون: «يَنْشأ» بفتحِ الياء وإسكان النون[٦]، واختاره أبو حاتم، أي: يرسخُ وينبت[٧]، وأصلُه من نشأ، أي: ارتفعَ، قاله الهروي. فـ «يُنَشَّأ» متعدٍّ، و«يَنشَأ» لازمٌ.

---

(١) النكت والعيون ٥/ ٢١٩ ، وأخرج الطبري ٢٠/ ٥٦٣ قول قتادة.

(٢) بنحوه في زاد المسير ٧/ ٣٠٥ .

(٣) ١٢/ ٣٤٠ وما بعدها.

(٤) تفسير البغوي ٤/ ١٣٥ ، والنكت والعيون ٥/ ٢١٩ .

(٥) الصحاح (نشأ).

(٦) السبعة ص٥٨٤ ، والتيسير ص١٩٦ ، والنشر ٢/ ٣٦٨ .

(٧) في (ظ): يثبت.

الثانية: قولُه تعالى: ﴿فِي ٱلْحِلْيَةِ﴾ أي: في الزينة. قال ابنُ عباس وغيرُه: هنَّ الجواري زِيُّهن غيرُ زِيِّ الرجالِ. قال مجاهد: رُخِّص للنساءِ في الذهبِ والحرير؛ وقرأ هذه الآية[١]. قال الكيا[٢]: فيه دلالةٌ على إباحةِ الحُليّ للنساء، والإجماعُ منعقدٌ عليه، والأخبارُ فيه لا تُحصى.

قلت: رُوي عن أبي هريرةَ أنه كان يقول لابنتِه: يا بُنَيَّة، إياكِ والتَّحلِّيَ بالذهب، فإني أخاف عليكِ اللهب[٣].

قوله تعالى: ﴿وَهُوَ فِي ٱلْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ﴾ أي: في المجادلة والإدلاءِ بالحُجَّة. قال قتادة: ما تكلمت امرأةٌ ولها حُجةٌ إلَّا جعلَتْها على نفسِها[٤]. وفي مصحف عبدِ الله: «وهو في الكلامِ غيرُ مبين»[٥]. ومعنى الآية: أَيُضاف إلى اللهِ مَن هذا وصفُه؟! أي: لا يجوزُ ذلك.

وقيل: المُنشَّأُ في الحلية أصنامُهم التي صاغُوها من ذهبٍ وفضةٍ وحلَّوها؛ قاله ابنُ زيد والضَّحاكُ[٦]. ويكون معنى: «وَهُوَ فِي الخصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ» على هذا القولِ: أي: ساكتٌ عن الجوابِ. و«مَن» في محلِّ نصبٍ، أي: اتخذوا للهِ مَن يُنشَّأ في الحِليةِ[٧]. ويجوزُ أن يكون رفعاً على الابتداءِ والخبرُ مضمرٌ؛ قاله الفراء[٨]. وتقديرهُ:

---

(١) تفسير الطبري ٢٠/ ٥٦٣-٥٦٤.

(٢) في أحكام القرآن ٤/ ٣٦٩.

(٣) أخرجه عبد الرزاق (١٩٩٣٨)، وأحمد في الزهد ص١٩٢، وأبو نعيم في الحلية ١/ ٣٨٠، والبيهقي في الشعب (٦١٩١) و(١٠٦٩١) بلفظ: ... لا تلبسي... قال الذهبي في السير ٢/ ٦٢٩: هذا صحيح عن أبي هريرة، وكأنه كان يذهب إلى تحريم الذهب على النساء أيضاً، أو أن المرأة إذا كانت تختال في لبس الذهب وتفخر، فإنه يحرم، كما فيمن جر ثوبه خيلاء.

(٤) أخرجه الطبري ٢٠/ ٥٦٤.

(٥) المحرر الوجيز ٥/ ٤٩.

(٦) أخرجه الطبري ٢٠/ ٥٦٥ عن ابن زيد.

(٧) الحجة لأبي علي الفارسي ٦/ ١٤٠.

(٨) في معاني القرآن ٣/ ٢٩، وقاله مكي في مشكل إعراب القرآن ٢/ ٦٥٠.

أَوَ مَن كان على هذه الحالةِ يَستحقُّ العبادة؟ وإن شئتَ قلتَ: خُفِض ردًّا إلى أوَّل الكلام، وهو قولُه: «بِما ضَرَبَ»، أو على «ما» في قوله: «مِمَّا يَخْلُقُ بَنَاتٍ»[١]. وكون[٢] البدل في هذين الموضعين ضعيف؛ لكونِ ألفِ الاستفهام حائلةً بين البدلِ والمبدَلِ منه.

﴿وَجَعَلُوا۟ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ ٱلَّذِينَ هُمْ عِبَٰدُ ٱلرَّحْمَٰنِ إِنَٰثًا﴾ قرأ الكوفيون: «عِبَادُ» بالجمع[٣] واختاره أبو عبيد؛ لأنَّ الإسنادَ فيها أعلى، ولأنَّ الله تعالى إنَّما كذَّبهم في قولهم: إنَّهم بناتُ اللهِ، فأخبرهم أنَّهم عبيدٌ، وأنَّهم ليسوا ببناتِه. وعن ابن عباس أنَّه قرأ: «عِبادُ الرَّحْمَنِ»، فقال سعيد بنُ جبير: إنَّ في مصحفي: «عند[٤] الرحمن» فقال: امحُها واكتبها «عِبَادُ الرَّحْمَنِ». وتصديقُ هذه القراءةِ قولُه تعالى: ﴿بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ﴾[٥] [الأنبياء: ٢٦]، وقولُه تعالى: ﴿أَفَحَسِبَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَن يَتَّخِذُوا۟ عِبَادِى مِن دُونِىٓ أَوْلِيَآءَ﴾ [الكهف: ١٠٢]، وقولُه تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ عِبَادٌ أَمْثَالُكُمْ﴾ [الأعراف: ١٩٤].

وقرأ الباقون: «عند الرحمن» بنون ساكنةٍ. واختارَه أبو حاتم[٦]. وتصديقُ هذه القراءةِ قولُه تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ﴾ [الأعراف: ٢٠٦] وقوله: ﴿وَلَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَمَنْ عِندَهُۥ﴾[٧] [الأنبياء: ١٩]. والمقصودُ إيضاحُ كذبِهم وبيانُ جهلِهم في نسبةِ الأولادِ إلى الله سبحانَه، ثمَّ في تحكُّمِهم بأنَّ الملائكةَ إناثٌ، وهم بناتُ اللهِ. وذِكرُ العبادِ مدحٌ لهم، أي: كيفَ عَبَدوا مَن هو في نهاية العبادة، ثم كيف حَكموا بأنَّهم إناثٌ من غير دليل. والجعلُ هنا بمعنى القولِ والحُكْم، تقول: جعلتُ زيداً أعلمَ

---

(١) تفسير البغوي ٤/ ١٣٦ .

(٢) في (ظ): وكونه.

(٣) وكذا قرأ أبو عمرو. السبعة ص٥٨٥ ، والتيسير ص١٩٦ .

(٤) في (د) و(م): عبد. وهو خطأ، والكلام بنحوه في إعراب للنحاس ٤/ ١٠٣ .

(٥) ينظر تفسير الرازي ٢٧/ ٢٠٣ .

(٦) قرأ بها من السبعة نافع وابن كثير وابن عامر.

الناس، أي: حكمتُ له بذلك[١].

﴿أَشَهِدُوا خَلْقَهُمْ﴾ أي: أحضَروا حالةَ خلقِهم حتى حكموا بأنَّهم إناث[٢]. وقيل: إنَّ النبيَّ ﷺ سألَهم وقال: «فما يُدريكم أنَّهم إناثٌ؟» فقالوا: سَمِعنا بذلك من آبائنا؛ ونحن نشهدُ أنَّهم لم يَكْذبوا في أنَّهم إناث، فقال الله تعالى: ﴿سَتُكْتَبُ شَهَـٰدَتُهُمْ وَيُسْـَٔلُونَ﴾ أي: يُسألونَ عنها في الآخرة[٣].وقرأ نافعٌ: «أَأُشْهِدُوا»[٤] بهمزةِ استفهامٍ داخلةٍ على همزةٍ مضمومةٍ مسهَّلة[٥]، ولا يَمدُّ؛ سوى ما رَوَى المسيَّبي عنه أنه يمدّ[٦]. ورَوى المفضل عن عاصمٍ مثلَ ذلك وتحقُّقَ الهمزتين[٧]. والباقون: «أَشَهِدُوا» بهمزة واحدةٍ للاستفهام[٨]. ورُويَ عن الزُّهري: «أُشْهِدُوا خَلْقَهُمْ» على الخبر[٩].

﴿سَتُكْتَبُ﴾ قراءةُ العامةِ بضمِّ التاء على الفعل المجهول، «شَهَادَتُهُمْ» رفعاً. وقرأ السُّلمِيُّ وابنُ السَّمَيْفَع وهُبيرة عن حفص: «سَنَكْتُبُ» بنون، «شَهَادَتَهُمْ» نصباً بتسميةِ الفاعل[١٠]. وعن أبي رجاء: «سَتُكْتَبُ شَهَادَاتُهُمْ» بالجمع[١١].

---

(١) تفسير الرازي ٢٧/ ٢٠٣ .

(٢) معاني القرآن للزجاج ٤/ ٤٠٧ ، والوسيط للواحدي ٤/ ٦٧ ، وزاد المسير ٧/ ٣٠٧ .

(٣) تفسير أبي الليث ٣/ ٢٠٥ .

(٤) الوسيط للواحدي ٤/ ٦٨ ، وتفسير البغوي ٤/ ١٣٦ .

(٥) اختلف رسمها في النسخ، فوقع في (د) و(ز) و(م): أَوُشْهدوا، وفي (ظ) و(ف): أو اشهدوا، والمثبت من (ق).

(٦) هي من رواية ورش عنه، وسهلها قالون مع إدخال ألف بخلف عنه. التيسير ص١٩٦ .

(٧) المحرر الوجيز ٥/ ٥٠ . وذكر في السبعة ص٥٨٥ رواية المفضل عن عاصم مثل نافع.

(٨) السبعة ص٥٨٥ ، والتيسير ص١٩٦ .

(٩) المحرر الوجيز ٥/ ٥٠ .

(١٠) رواية هبيرة عن حفص في جامع البيان ٢/ ٤٠٠ .

(١١) نسبها في المحرر الوجيز ٥/ ٥٠ ، والقراءات الشاذة ص١٣٥ للحسن.

قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا۟ لَوْ شَآءَ ٱلرَّحْمَٰنُ مَا عَبَدْنَٰهُم ۗ مَّا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ ۖ إِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ﴿٢٠﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا۟ لَوْ شَآءَ ٱلرَّحْمَٰنُ﴾ يعني: قال المشركون على طريق الاستهزاء والسخرية: لو شاءَ الرحمنُ على زعمِكم ما عَبدنا هذه الملائكة. وهذا منهم كلمةُ حقٍّ أُريدَ بها باطلٌ. وكلُّ شيءٍ بإرادة الله، وإرادتُه تجب، وكذا علمُه، فلا يُمكِن الاحتجاجُ بهما[1]؛ وخلافُ المعلومِ والمرادِ مقدورٌ وإن لم يقع. ولو عَبَدوا الله بدلَ الأصنام، لَعلمنا أنَّ الله أراد منهم ما حصل منهم. وقد مضى هذا المعنى في «الأنعام» عند قوله: ﴿سَيَقُولُ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشْرَكْنَا﴾ [الآية: ١٤٨]، وفي «يس»: ﴿أَنُطْعِمُ مَن لَّوْ يَشَآءُ ٱللَّهُ أَطْعَمَهُۥٓ﴾[2] [الآية: ٤٧].

وقولُه: ﴿مَّا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ﴾ مردودٌ إلى قوله: «وَجَعَلُوا المَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمَنِ إِنَاثاً» أي: ما لهم بقولهم: الملائكةُ بناتُ الله من علم؛ قاله قتادةُ ومقاتلٌ والكلبي[3]. وقال مجاهدٌ وابن جريج: يعني الأوثان[4]، أي: ما لهم بعبادةِ الأوثانِ من علم. «مِن» صِلة.

﴿إِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ﴾ أي: يَحْدِسون ويَكذبون، فلا عذرَ لهم في عبادة غيرِ الله عزَّ وجلَّ. وكان في ضمن كلامِهم أنَّ الله أَمَرنا بهذا، أو رضي ذلك منَّا، ولهذا لم يَنْهَنا ولم يُعاجِلنا بالعقوبة.

قوله تعالى: ﴿أَمْ ءَاتَيْنَٰهُمْ كِتَٰبًا مِّن قَبْلِهِۦ فَهُم بِهِۦ مُسْتَمْسِكُونَ ﴿٢١﴾﴾

هذا معادِلٌ لقوله: «أَشَهِدُوا خَلْقَهُمْ». والمعنى: أَحضَروا خلقَهم، أم آتيناهم كتاباً من قَبْله؟ أي: من قبلِ القرآنِ بما ادَّعَوه، فهم به متمسكون يعملون بما فيه!

---

(١) في (م): بها.

(٢) ٩/١٠٢، و١٧/٤٥٦ - ٤٥٧.

(٣) تفسير البغوي ٤/١٣٦.

(٤) أخرجه الطبري ٢٠/٥٦٨ عن مجاهد.

قوله تعالى: ﴿بَلْ قَالُوٓا۟ إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّهْتَدُونَ ﴿٢٢﴾ وَكَذَٰلِكَ مَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ فِى قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَآ إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّقْتَدُونَ ﴿٢٣﴾﴾

فيه مسألتان:

الأولى: قوله تعالى: ﴿عَلَىٰٓ أُمَّةٍ﴾ أي: على طريقة ومذهب؛ قاله عمر بنُ عبد العزيز[١]. وكان يقرأ هو ومجاهدٌ وقتادة: «على إِمَّةٍ» بكسر الألف[٢]. والإِمَّةُ: الطريقة[٣]. وقال الجوهري[٤]: والإِمَّة، بالكسرِ: النعمة. والإِمّةُ أيضاً لغةٌ في الأُمَّة ـ وهي الطريقةُ والدين ـ عن أبي عبيد[٥].

قال عَديُّ بنُ زيد في النعمة:

ثم بعدَ الفَلَاح والمُلْكِ والإمَّـ ـةِ وارتْهُمُ هناك القبورُ

عن غير الجوهري[٦].

وقال قتادةُ وعطية: «على أُمَّةٍ»: على دِين[٧]، ومنه قولُ قيس بنِ الخطيم:

كنَّا على أُمَّةِ آبائنا ويقتدي الآخِرُ بالأَوَّلِ[٨]

قال الجوهري: والأُمَّةُ: الطريقةُ والدِّين، يقال: فلانٌ لا أُمَّة له، أي: لا دينَ له ولا نِحْلة. قال الشاعر:

---

(١) النكت والعيون ٥/ ٢٢١ .

(٢) نسبها لعمر بن عبد العزيز ومجاهد الفراء في معاني القرآن ٣/ ٣٠ ، والنحاس في إعراب القرآن ٤/ ١٠٤ ، والطبري ٢٠/ ٥٧٠ ، وابن خالويه في القراءات الشاذة ص١٣٥ وزاد نسبتها للجحدري.

(٣) معاني القرآن للفراء ٣/ ٣٠ ، والنكت والعيون ٥/ ٢٢١ ، وتهذيب اللغة ١٥/ ٦٣٤ .

(٤) في الصحاح (أمم).

(٥) في (م)، وتفسير أبي الليث ٣/ ٢٠٥ : أبو عبيدة.

(٦) معاني القرآن للفراء ٣/ ٣٠ ، وتفسير الطبري ٢٠/ ٥٧١ .

(٧) النكت والعيون ٥/ ٢٢١ ، وأخرجه الطبري ٢٠/ ٥٧٠ ، عن ابن عباس وقتادة والسدي.

(٨) النكت والعيون ٥/ ٢٢١ .

وهـل يـسـتـوي ذو أُمَّـةٍ وكَـفُـورُ[١]

وقال مجاهد وقطرب: على دينٍ، على مِلَّة. وفي بعضِ المصاحف: «قَالُوا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلى مِلَّة». وهذه الأقوالُ متقاربة. وحُكِي عن الفرَّاء: على ملة: على قِبْلة. الأخفشُ: على استقامة، وأنشدَ قولَ النابغة:

حَـلَـفْـتُ فـلـم أتـرك لـنـفـسـكَ ريـبـةً وهل يأثَمَنْ ذو أُمَّة[٢] وهـو طـائـعُ[٣]

الثانية: ﴿وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّهْتَدُونَ﴾ أي: نـهـتـدي بـهـم. وفـي الآيـة الأخـرى: «مُقْتَدُونُ»، أي: نقتدي بهم، والمعنى واحد. قال قتادة: مقتدون: متَّبِعون[٤]. وفي هذا دليلٌ على إبطال التقليد؛ لِذَمِّه إياهم على تقليدِ آبائهم، وتركِهم النظرَ فيما دَعاهم إليه الرسولُ ﷺ[٥]. وقد مضى القولُ في هذا في «البقرة» مستوفًى[٦].

وحكى مقاتلٌ أنَّ هذه الآيةَ نزلت في الوليد بنِ المغيرة وأبي سفيان وأبي جهل وعتبةَ وشيبة ابني ربيعة من قريش[٧]، أي: وكما قال هؤلاء فقد قال مَن قبلَهم أيضاً. يُعَزِّي نبيَّه ﷺ؛ ونظيرُه: ﴿مَّا يُقَالُ لَكَ إِلَّا مَا قَدْ قِيلَ لِلرُّسُلِ مِن قَبْلِكَ﴾ [فصلت: ٤٣]. والمترفُ: المُنْعمُ، والمرادُ هنا الملوكُ والجبابرة.

قوله تعالى: ﴿قَٰلَ أَوَلَوْ جِئْتُكُم بِأَهْدَىٰ مِمَّا وَجَدتُّمْ عَلَيْهِ ءَابَآءَكُمْ ۖ قَالُوٓا۟ إِنَّا بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ ﴿٢٤﴾﴾

قوله تعالى: ﴿قُلْ أَوَلَوْ جِئْتُكُم بِأَهْدَىٰ﴾ أي: قُلْ يا محمدُ لقومك: أَوَليسَ قد جئتُكم من عند الله بأهدى، يريد: بأرشدَ ﴿مِمَّا وَجَدتُّمْ عَلَيْهِ ءَابَآءَكُمْ ۖ قَالُوٓا۟ إِنَّا بِمَآ أُرْسِلْتُم

(١) الصحاح (أمم).

(٢) قال في اللسان (أمم): ويروى ذو إمة.

(٣) النكت والعيون ٥/ ٢٢١ ، والبيت في ديوان النابغة ص٨١ ، وسلف ٥/ ٢٦٠ .

(٤) أخرجه الطبري ٢٠/ ٥٧٢ ، وهو في النكت والعيون.

(٥) أحكام القرآن للكيا ٤/ ٣٦٩ .

(٦) ٣/ ١٦ فما بعد.

(٧) النكت والعيون ٥/ ٢٢١ .

بِهِۦ كَٰفِرُونَ﴾ يعني: بكلِّ ما أُرسِل به الرسل. فالخطابُ للنبيِّ ﷺ، ولفظُه لفظُ الجمع؛ لأنَّ تكذيبَه تكذيبٌ لمن سواه.

وقُرئ: «قُلْ» وَ«قَالَ»، وَ«جِئْتُكُمْ» وَ«جِئْنَاكُمْ» يعني: أَتتَّبعون آباءَكم ولو جئتكم بدين أَهدى من دين آبائكم؟ قالوا: إنا ثابتون على دينِ آبائنا لا ننفكُّ عنه وإن جئتنا بما هو أَهدى[١]. وقد مضى في «البقرة» القولُ في التقليد وذَمِّه[٢]، فلا معنى لإعادته.

قوله تعالى: ﴿فَٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ ۖ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ ﴿٢٥﴾﴾

قوله تعالى: ﴿فَٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ﴾ بالقحط والقتل والسَّبي ﴿فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ﴾: آخِرُ أَمرِ مَن كذَّب الرسل.

وقراءة العامة: «قُلْ أَوَلَوْ جِئْتُكُمْ». وقرأ ابن عامر وحفص: «قَالَ أَوَلَوْ»[٣]، على الخبر عن النذير أنه قال لهم هذه المقالة. وقرأ أبو جعفر: «قُلْ أَوَلَوْ جِئْنَاكُمْ» بنون وألف[٤]، على أنَّ المخاطبة من رسول الله ﷺ عن جميع الرسل.

قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦٓ إِنَّنِى بَرَآءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ﴿٢٦﴾ إِلَّا ٱلَّذِى فَطَرَنِى فَإِنَّهُۥ سَيَهْدِينِ ﴿٢٧﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ﴾ أي: ذكِّرهم إذ قال ﴿إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦٓ إِنَّنِى بَرَآءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ﴾ البَراء يُستعمل للواحد فما فوقه؛ فلا يُثنَّى ولا يجمع ولا يؤنَّث؛ لأنه مصدرٌ وُضع موضعَ النعت[٥]؛ لا يقال: البراءان والبراؤون؛ لأن المعنى: ذو[٦] البراء،

---

(١) الكشاف ٣/ ٤٨٤، وسيرد ذكر القراءات.

(٢) ٣/ ١٦ فما بعد.

(٣) السبعة ص٥٨٥، والتيسير ص١٩٦.

(٤) النشر ٢/ ٣٦٩.

(٥) تفسير الطبري ٢٠/ ٥٧٥، وتفسير البغوي ٤/ ١٣٧، وينظر معاني القرآن للفراء ٣/ ٣٠، والكشاف ٣/ ٤٨٤.

(٦) في (ف): ذوا، والكلام بنحوه في معاني القرآن للزجاج ٤/ ٤٠٩، وزاد المسير ٧/ ٣٠٩، وينظر تفسير الرازي ٢٧/ ٢٠٨.

وذوو البراء.

قال الجوهري[١]: وتبرَّأتُ من كذا، وأنا منه بَرآء، وخَلاءٌ منه، لا يثنَّى ولا يجمع؛ لأنه مصدر في الأصل؛ مثل: سَمِع سَماعاً. فإذا قلت: أنا بريءٌ منه وخَليّ، ثَنَّيتَ وجمعت وأنَّثت، وقلتَ في الجمع: نحن منه بُرَآء، مثل: فقيهٌ وفقهاء، وبِراء أيضاً، مثل: كريم وكِرام، وأَبْراء، مثل: شريف وأشراف، وأبرياء، مثل: نصيب وأنصِبَاء، وبريئون. وامرأةٌ بريئة، وهما بريئتان، وهن بريئاتٌ وبَرايا، ورجلٌ بريء وبُراء، مثل: عجيب وعُجاب. والبَراء، بالفتح: أوَّلُ ليلةٍ من الشهر، سُمِّيت بذلك لتبرُّؤ القمرِ من الشمس.

﴿إِلَّا ٱلَّذِى فَطَرَنِى﴾ استثناءٌ متصل؛ لأنهم عبدوا اللهَ مع آلهتهم. قال قتادة: كانوا يقولون: اللهُ ربُّنا[٢]؛ مع عبادة الأوثان. ويجوز أن يكونَ منقطعاً[٣]؛ أي: لكن الذي فطرني فهو يهدين. قال ذلك ثقةً بالله، وتنبيهاً لقومه أنَّ الهداية مِن ربه.

قوله تعالى: ﴿وَجَعَلَهَا كَلِمَةًۢ بَاقِيَةً فِى عَقِبِهِۦ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٢٨﴾﴾

فيه ثلاثُ مسائل:

الأولى: قوله تعالى: ﴿وَجَعَلَهَا كَلِمَةًۢ بَاقِيَةً﴾ الضمير في «جَعَلَهَا» عائدٌ على قوله: «إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي». وضمير الفاعل في «جَعَلَهَا» لله عزَّ وجلَّ؛ أي: وجعل اللهُ هذه الكلمةَ والمقالةَ باقيةً في عَقِبه، وهم ولده وولدُ ولده؛ أي: إنهم توارثوا البراءةَ عن عبادة غيرِ الله، وأوصى بعضُهم بعضاً في ذلك. والعَقِبُ مَن يأتي بعده[٤]. وقال السُّدِّيُّ: هم آل محمدٍ ﷺ. وقال ابن عباس: قوله: «فِي عَقِبِهِ» أي: في خَلَفه[٥]. وفي

---

(١) في الصحاح (برأ).

(٢) أخرجه الطبري ٢٠/٥٧٦.

(٣) إعراب القرآن للنحاس ٤/١٠٥، وينظر تفسير الرازي ٢٧/٢٠٨.

(٤) ينظر إعراب القرآن للنحاس ٤/١٠٦، والكشاف ٣/٤٨٤.

(٥) النكت والعيون ٥/٢٢٢، وأخرج القولين الطبري ٢٠/٥٧٨.

الكلام تقديمٌ وتأخير؛ المعنى: فإنه سيهدينِ لعلهم يرجعون وجعلها كلمةً باقية في عقبه، أي: قال لهم ذلك لعلهم يتوبون عن عبادة غير الله[١].

قال مجاهدٌ وقتادة: الكلمة: لا إله إلا الله؛ قال قتادة: لا يزال من عقبه مَن يعبد اللهَ إلى يوم القيامة[٢]. وقال الضحَّاك: الكلمة: أنْ لا تعبدوا إلا الله. عكرمة: الإسلام؛ لقوله تعالى: ﴿هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ﴾[٣] [الحج: ٧٨]. القُرَظي: وجَعل وصيةَ إبراهيم التي وصَّى بها بنيه ـ وهو قولُه: ﴿يَٰبَنِيَّ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ﴾ الآيةُ المذكورة في البقرة [الآية: ١٣٢] ـ كلمَةً باقية في ذُرِّيته وبنيه. وقال ابن زيد: الكلمة قوله: «أَسْلَمْتُ لِرَبِّ العَالَمِينَ»، وقرأ: ﴿هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ﴾[٤].

وقيل: الكلمة: النبوَّة. قال ابن العربي[٥]: ولم تزل النبوَّةُ باقيةً في ذُرِّيَّة إبراهيم، والتوحيد هم أصلُه، وغيرُهم فيه تَبَعٌ لهم.

الثانية: قال ابن العربي[٦]: إنما كانت لإبراهيم في الأعقاب موصولةً بالأحقاب؛ بدعوتَيه المجابتَين، إحداهما في قوله: ﴿إِنِّى جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِى قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [البقرة: ١٢٤] فقد قال: نعم إلَّا من ظلم منهم فلا عهد. ثانيهما قوله: ﴿وَٱجْنُبْنِى وَبَنِىَّ أَن نَّعْبُدَ ٱلْأَصْنَامَ﴾ [إبراهيم: ٣٥]. وقيل: بل[٧] الأولى قولُه: ﴿وَٱجْعَل لِّى لِسَانَ صِدْقٍ فِى ٱلْءَاخِرِينَ﴾ [الشعراء: ٨٤]، فكلُّ أُمة تعظِّمه، بنوه وغيرهم؛ ممن يجتمع معه في سامٍ أو نوح.

الثالثة: قال ابن العربي[٨]: جرى ذِكْرُ العَقِب هاهنا موصولاً في المعنى

---

(١) الوسيط للواحدي ٤/ ٦٩ .

(٢) أخرج قولهما الطبري ٢٠/ ٥٧٦-٥٧٧ .

(٣) النكت والعيون ٥/ ٢٢٢ .

(٤) ذكر القولين البغوي ٤/ ١٣٧ . وأخرج الطبري ٢٠/ ٥٧٧ قول ابن زيد.

(٥) في أحكام القرآن ٤/ ١٦٦٦ .

(٦) المصدر السابق.

(٧) في أحكام القرآن: وقيل بدل.

(٨) في أحكام القرآن ٤/ ١٦٦٦-١٦٧٠ ، وما بين حاصرتين منه.

[بالحِقب]، وذلك مما يدخل في الأحكام وتُرتَّبُ عليه عقودُ العُمْرَى والتحبيس[١]. قال النبيُّ ﷺ: «أيُّما رَجلٍ أُعمِر عُمْرَى له ولعقِبه، فإنها لِلذي أُعطِيَها، لا ترجع إلى الذي أعطاها؛ لأنه أعطى عطاءً وقعت فيه المواريث»[٢].

وهي تَرِد على أحدَ عشَرَ لفظاً:

اللفظ الأول: الولد. وهو عند الإطلاق عبارةٌ عمن وُجد من الرجل وامرأتِه في الإناث والذُّكور. وعن ولد الذكور دون الإناث لغةً وشرعاً؛ ولذلك وقع الميراثُ على الولد المعيَّن وأولاد الذكور من المعيَّن دون ولد الإناث؛ لأنه من قومٍ آخرين، ولذلك لم يدخلوا في الحُبس بهذا اللفظ؛ قاله مالكٌ في المجموعة وغيرِها.

قلت: هذا مذهبُ مالكٍ وجميعِ أصحابه المتقدِّمين، ومِن حجَّتهم على ذلك الإجماعُ على أنَّ ولد البنات لا ميراث لهم مع قوله تعالى: ﴿يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ فِيٓ أَوۡلَٰدِكُمۡ﴾ [النساء: ١١]. وقد ذهب جماعةٌ من العلماء إلى أنَّ ولد البنات من الأولاد والأعقاب يدخلون في الأحباس بقول[٣] المُحْبِس: حبستُ على ولدي، أو على عَقِبي. وهذا اختيارُ أبي عمر بنِ عبد البَرّ وغيرِه[٤]؛ واحتجُّوا بقول اللهِ جلَّ وعزّ: ﴿حُرِّمَتۡ عَلَيۡكُمۡ أُمَّهَٰتُكُمۡ وَبَنَاتُكُمۡ﴾ [النساء: ٢٣]. قالوا: فلما حَرَّم اللهُ البنات فَحَرُمت بذلك بنتُ البنت بإجماع، عُلم أنها بنتٌ، ووجب أن تدخل في حُبْس أبيها إذا حَبَسَ على ولده أو عقبه. وقد مضى هذا المعنى في «الأنعام» مستوفًى[٥].

---

(١) العمرى: من قولهم: أعمرته الدار عُمرى: أي جعلتها له يسكنها مدة عمره، فإذا مات عادت إلي. والتحبيس: الوقف. النهاية (عمر) (حبس).

(٢) صحيح مسلم (١٦٢٥) من حديث جابر، وسلف ١١/ ١٥١.

(٣) في (م): يقول.

(٤) الذي قاله ابن عبد البَرّ في الكافي ٢/ ١٠١٨: إذا حبس الرجل على ولده وولد ولده، أو على عقبه وعقب عقبه؛ فلا حقَّ لولد البنات في حُبسه ذلك؛ إلا أن يُسمِيَهم ويدخلَهم فيه، وإنما ذلك لولده وولد ولده الذكور ما تناسلوا.

(٥) ٨/ ٤٤٧ - ٤٤٨.

اللفظ الثاني: البنون. فإن قال: هذا حُبْسٌ على ابني؛ فلا يتعدَّى الولدَ المعيَّنَ ولا يتعدَّد. ولو قال: ولدي، لَتعدَّى وتعدَّد في كلِّ مَن ولد. وإن قال: على بَنِيّ، دخل فيه الذكورُ والإناث. قال مالك: مَن تصدَّق على بنيه وبني بنيه، فإنَّ بناتِه وبناتِ بناته يدخلن في ذلك. وروى عيسى عن ابن القاسم فيمن حبس على بناته؛ فإنَّ بناتِ بنته يدخلن في ذلك مع بنات صُلْبه. والذي عليه جماعةُ أصحابه أنَّ ولد البنات لا يدخلون في البنين. فإن قيل: فقد قال النبيُّ ﷺ في الحسن ابنِ ابنته: «إنَّ ابني هذا سيِّدٌ، ولعلَّ اللهَ أنْ يُصلِحَ به بين فئتين عظيمتين من المسلمين»[1]. قلنا: هذا مجاز، وإنما أشار به إلى تشريفه وتقديمه؛ أَلَا ترى أنه يجوز نفيُه عنه، فيقول الرجل في ولد بنته: ليس بابني؛ ولو كان حقيقةً ما جاز نفيُه عنه؛ لأن الحقائق لا تُنفى عن مُنتسباتها[2]. ألا ترى أنه ينتسب إلى أبيه دون أمه؛ ولذلك قيل في عبد الله بنِ عباس: إنه هاشميٌّ وليس بهلالي، وإن كانت أُمُّه هلالية.

قلت: هذا الاستدلال غيرُ صحيح، بل هو ولدٌ على الحقيقة في اللغة؛ لوجود معنى الولادةِ فيه، ولأن أهل العلم قد أجمعوا على تحريم بنت البنت مِن قول اللهِ تعالى: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَٰتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ﴾ [النساء: ٢٣]. وقال تعالى: ﴿وَمِن ذُرِّيَّتِهِۦ دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ﴾ إلى قوله: ﴿مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [الأنعام: ٨٤-٨٥]، فجعل عيسى من ذُرِّيَّته، وهو ابنُ بنته على ما تقدَّم بيانُه هناك[3]. فإن قيل: فقد قال الشاعر:

بنونا بنو أبنائنا، وبناتُنا ... بنوهنَّ أبناءُ الرجالِ الأباعدِ[4]

---

(١) صحيح البخاري (٢٧٠٤)، وسلف ٥/١١٦.

(٢) في (ف): مشبهاتها، وفي أحكام القرآن: مسمياتها.

(٣) ٨/٤٤٦-٤٤٧.

(٤) كتاب الحيوان للجاحظ ١/٣٤٦، والإنصاف لابن الأنباري ١/٦٦، ومغني اللبيب ص٥٨٩، والخزانة ١/٤٤٤ دون نسبة. قال البغدادي: هذا البيت لا يعرف قائله مع شهرته في كتب النحاة وغيرهم. ورأيت في شرح الكرماني في شواهد شرح الكافية للخبيصي أنه قال: هذا البيت قائله أبو فراس همام الفرزدق بن غالب. والله أعلم بحقيقة الحال.

قيل لهم: هذا لا دليلَ فيه؛ لأن معنى قولِه إنما هو أَنَّ[١] ولد بنيه الذُّكرانِ هم الذين لهم حكمُ بنيه في الموارثة والنسب، وأَنَّ ولد بناته ليس لهم حكمُ بناته في ذلك؛ إذ ينتسبون إلى غيره، فأخبر بافتراقهم بالحكم مع اجتماعهم في التسمية، ولم يَنْفِ عن ولد البناتِ اسمَ الولد؛ لأنه ابن؛ وقد يقول الرجل في ولده: ليس هو بابني؛ إذ لا يطيعني ولا يرى لي حقًّا، ولا يريد بذلك نفيَ اسمِ الولدِ عنه، وإنما يريد أن ينفيَ عنه حكمَه. ومَن استدلَّ بهذا البيتِ على أنَّ ولد البنت لا يُسمَّى ولداً، فقد أفسد معناه وأبطل فائدته، وتأوَّل على قائله ما لا يصح؛ إذ لا يمكن أن يُسمَّى ولدُ الابن في اللسان العربيِّ ابناً، ولا يُسمَّى ولدُ الابنة ابناً؛ من أجل أنَّ معنى الولادة التي اشتُقَّ منها اسمُ الولد فيه أَبْيَنُ وأقوى؛ لأن ولد الابنةِ هو ولدُها بحقيقة الولادة، وولد الابن إنما هو ولدُه بماله مما[٢] كان سبباً للولادة. ولم يُخرِجْ مالكٌ رحمه الله أولادَ البنات مِن حُبْس مَن حَبَس[٣] على ولده من أجل أنَّ اسم الولد غيرُ واقعٍ عليه عنده في اللسان، وإنما أخرجهم منه قياساً على الموارثة. وقد مضى هذا في «الأنعام»، والحمدُ لله[٤].

اللفظ الثالث: الذُّرِّيَّة. وهي مأخوذةٌ مِن: ذرأَ اللهُ الخلقَ؛ فيدخل فيه[٥] ولدُ البنات، لقوله: ﴿وَمِن ذُرِّيَّتِهِۦ دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ﴾ إلى أن قال: ﴿وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَىٰ وَعِيسَىٰ﴾ [الأنعام: ٨٤-٨٥]. وإنما كان من ذريته مِن قِبَل أُمه. وقد مضى في «البقرة» اشتقاقُ الذرية[٦] وفي «الأنعام» الكلامُ على «وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِ» الآية [٨٤][٧]؛ فلا معنى للإعادة.

---

(١) لفظة: أن ليست في (د) و(م).

(٢) في (د) و(ف): فما.

(٣) قوله: من حبس، من (ظ).

(٤) ٨/٤٤٧-٤٤٨.

(٥) في أحكام القرآن ٤/١٦٦٧ زيادة: عند علمائنا.

(٦) ٢/٣٦٨.

(٧) ٨/٤٤٦ - ٤٤٧.

اللفظ الرابع: العَقِب. وهو في اللغة عبارةٌ عن شيء بعد شيءٍ كان مِن جنسه أو من غير جنسه؛ يقال: أَعقب اللهُ بخير؛ أي: جاء بعد الشِّدَّة بالرَّخاء. وأعقب الشيبُ السَّواد.

وعَقَب يَعْقُب عُقُوباً وعَقْباً: إذا جاء شيئاً بعد شيء؛ ولهذا قيل لولد الرجل: عَقِبه[١].

والمِعْقاب من النساء: التي تلد ذَكَراً بعد أنثى، هكذا أبداً. وعقب الرجل: ولده وولدُ ولدِه الباقون بعده. والعاقبة: الولد؛ قال يعقوب: في القرآن: «وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِ». وقيل: بل الورثة كلُّهم عَقِب. والعاقبة: الولد؛ وكذلك[٢] فسَّره مجاهدٌ هنا. وقال ابن زيد: هاهنا هم الذُّرِّيَّة. وقال ابن شهاب: هم الولد وولدُ الولد. وقيل غيره على ما تقدَّم عن السُّدِّيّ[٣].

وفي الصحاح: والعَقِب، بكسر القاف: مُؤخَّر القدم، وهي مؤنثة. وعقب الرجل أيضاً: ولدُه وولدُ ولدِه. وفيه لغتان: عَقِب وعَقْب، بالتسكين، وهي أيضاً مؤنثة، عن الأخفش. وعَقَبَ فلانٌ مكانَ أبيه عاقبةً، أي: خلفه؛ وهو اسمٌ جاء بمعنى المصدر، كقوله تعالى: ﴿لَيْسَ لِوَقْعَتِهَا كَاذِبَةٌ﴾[٤] [الواقعة: ٢].

ولا فرق عند أحدٍ من العلماء بين لفظ العَقِب والولد في المعنى. واختُلف في الذُّرِّيَّة والنسل، فقيل: إنهما بمنزلة الولد والعَقِب؛ لا يدخل ولدُ البنات فيهما على مذهب مالك. وقيل: إنهم يدخلون فيهما. وقد مضى الكلامُ في الذرية هنا وفي «الأنعام».

اللفظ الخامس: نَسْلي. وهو عند علمائنا كقوله: ولدي وولدُ ولدي[٥]؛ فإنه

---

(١) تهذيب اللغة ١/ ٢٧١ .

(٢) في (د) و(م): ولذلك، والمثبت من (ظ) و(ف)، وهو الموافق لما في أحكام القرآن.

(٣) في المسألة الأولى. وقول ابن زيد وابن شهاب أخرجهما الطبري ٢٠/ ٥٧٨ .

(٤) الصحاح (عقب).

(٥) في أحكام القرآن: ولد ولدي، بدل: ولدي وولد ولدي.

يدخل فيه ولدُ البنات. ويجب أن يدخلوا؛ لأنَّ نَسَل بمعنى خرج، وولد البنات قد خرجوا منه بوجهٍ، ولم يقترن به ما يَخُصُّه كما اقترن بقوله: عَقِبي ما تناسلوا.

وقال بعض علمائنا: إنَّ النسل بمنزلة الولد والعقبِ، لا يدخل فيه ولدُ البنات؛ إلَّا أنْ يقول المُحبِس: نسلي ونسلُ نسلي، كما إذا قال: عقبي وعَقِبُ عقبي، وأما إذا قال: ولدي أو عقبي مُفْرَداً، فلا يدخل فيه البنات.

اللفظ السادس: الآل. وهم الأهل؛ وهو اللفظ السابع. قال ابن القاسم: هما سواء، وهم العَصَبةُ والإخوة والأَخَوات[١] والبنات والعمات؛ ولا يدخل فيه الخالات. وأصل الأهل: الاجتماعُ، يقال: مكانٌ آهِل: إذا كان فيه جماعة، وذلك بالعصبة ومَن دخل في العقد[٢]، والعَصَبة مشتقَّةٌ منه، وهي أخصُّ به. وفي حديث الإفك: يا رسول الله، أَهْلُكَ! ولا نعلم إلَّا خيراً؛ يعني عائشة[٣]. ولكن لا تدخل فيه الزوجةُ بإجماع وإن كانت أصلَ التأهُّل؛ لأنَّ ثبوتها ليس بيقين، إذ قد يتبدَّل ربطُها وينحلُّ بالطلاق. وقد قال مالك: آلُ محمدٍ كلُّ تقي[٤]؛ وليس من هذا الباب. وإنما أراد أنَّ الإيمان أخصُّ من القرابة، فاشتملت عليه الدَّعوةُ وقُصد بالرحمة.

وقد قال أبو إسحاق التونسي: يدخل في الأهل كلُّ مَن كان من جهة الأبوين. فوفَّى الاشتقاقَ حقَّه، وغَفَلَ عن العُرف ومطلقِ الاستعمال. وهذه المعاني إنما تُبنى

---

(١) قوله: والأخوات ليس في (د) و(ظ) و(م).

(٢) كذا في النسخ الخطية وأحكام القرآن ٤/ ١٦٦٨ ، والكلام منه، وبعدها في (م): من النساء. وقد ذكر أبو الوليد الباجي في المنتقى ٦/ ١٢٤ كلام ابن القاسم ثم قال: ومعنى ذلك عندي العصبة، أو من كان في قُعْددهنَّ من النساء. والقُعْدُد: الأقرب إلى الأب الأكبر. المصباح المنير (قعد).

(٣) القائل أسامة بن زيد ﷺ كما في البخاري (٢٦٦١)، ومسلم (٢٧٧٠). وقد سلف ١/ ٣٩٩ .

(٤) ذكره عنه ابن العربي في أحكام القرآن ٤/ ١٦٦٨ . وقد أخرجه مرفوعاً العقيلي في الضعفاء ٤/ ٢٨٧ ، وابن عدي في الكامل ٧/ ٢٥١٣ ، والبيهقي ٢/ ١٥٢ من طريق نافع السلمي، عن أنس ﷺ. قال البيهقي: وهذا لا يحل الاحتجاج بمثله. وأخرجه الطبراني في الصغير (٣١٨)، والأوسط (٣٣٥٦) من طريق نوح ابن أبي مريم، عن يحيى بن سعيد الأنصاري، عن أنس. قال الحافظ في الفتح ١١/ ١٦١ : سنده واهٍ جداً.

على الحقيقة، أو على العرف المستعملِ عند الإطلاق، فهذان لفظان.

اللفظ الثامن: قرابة. فيه أربعة أقوال:

الأوّل: قال مالكٌ في كتاب محمدٍ وابنِ[١] عَبْدوس: إنهم الأقربُ فالأقربُ بالاجتهاد؛ ولا يدخل فيه ولدُ البنات ولا ولدُ الخالات.

الثاني: يدخل فيه أقاربُه من قِبَل أبيه وأُمِّه؛ قاله علي بنُ زياد.

الثالث: قال أشهب: يدخل فيه كلُّ رَحِمٍ من الرجال والنساء.

الرابع: قال ابن كِنَانة: يدخل فيه الأعمامُ والعمَّات والأخوال والخالات[٢] وبنات الأخت.

وقد قال ابن عباس في تفسير قولهِ تعالى: ﴿قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾ [الشورى: ٢٣] قال: إلَّا أنْ تَصِلوا قرابةَ ما بيني وبينكم؛ وقال: لم يكن بطنٌ من قريشٍ إلا كان بينه وبين النبيِّ ﷺ قرابة[٣]. فهذا يَضبِطه، والله أعلم.

اللفظ التاسع: العشيرة. ويضبِطه الحديثُ الصحيح: إن الله تعالى لما أنزل: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ﴾ [الشعراء: ٢١٤] دعا النبيُّ ﷺ بطونَ قريشٍ وسمَّاهم، كما تقدَّم ذِكْرُه[٤]، وهم العشيرة الأقربون، وسِوَاهم عشيرةٌ في الإطلاق. واللفظ يُحمل على الأخصِّ الأقربِ بالاجتهاد، كما تقدَّم مِن قول علمائنا.

اللفظ العاشر: القوم. يُحمل[٥] ذلك على الرجال خاصَّةً من العَصَبة دون النساء. والقوم يشمل الرجالَ والنساء؛ وإن كان الشاعر قد قال:

---

(١) لفظة: و، ليست في (م).

(٢) في بعض النسخ الخطية من أحكام القرآن (كما في حواشيه) زيادة: وبنات الأخ.

(٣) أخرجه أحمد (٢٠٢٤)، والبخاري (٣٤٩٧).

(٤) ١٦/٨٣ .

(٥) قبلها في المطبوع من أحكام القرآن: قال القرويون.

وما أدري وسوف إخال أدري أقومٌ آل حِصْنٍ أم نساءُ[١]

ولكنه أراد أنَّ الرجل إذا دعا قومه للنُّصرة، عنى الرجال، وإذا دعاهم للحُرْمة، دخل فيهم الرجالُ والنساء؛ فتَعُمُّه الصفة وتخصِّصه القرينة.

اللفظ الحادي عشر: المَوَالي. قال مالك: يدخل فيه موالي أبيه وابنِه مع مواليه. وقال ابن وهب: يدخل فيه أولادُ مواليه.

قال ابن العربي[٢]: والذي يتحصَّل منه أنه يدخل فيه مَن يرثه بالوَلاء؛ قال: وهذه فصولُ الكلام وأصولُه المرتبطةُ بظاهر القرآن والسنة المبيِّنة له؛ والتفريعُ والتتميم في كتب[٣] المسائل، والله أعلم.

قوله تعالى: ﴿بَلْ مَتَّعْتُ هَٰٓؤُلَآءِ وَءَابَآءَهُمْ حَتَّىٰ جَآءَهُمُ ٱلْحَقُّ وَرَسُولٌ مُّبِينٌ ﴿٢٩﴾ وَلَمَّا جَآءَهُمُ ٱلْحَقُّ قَالُوا۟ هَٰذَا سِحْرٌ وَإِنَّا بِهِۦ كَٰفِرُونَ ﴿٣٠﴾ وَقَالُوا۟ لَوْلَا نُزِّلَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ ٱلْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ ﴿٣١﴾ أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ ۚ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۚ وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَٰتٍ لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سُخْرِيًّا ۗ وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴿٣٢﴾﴾

قوله تعالى: ﴿بَلْ مَتَّعْتُ﴾ وقُرئ: «بَلْ مَتَّعْنَا»[٤]. ﴿هَٰٓؤُلَآءِ وَءَابَآءَهُمْ﴾ أي: في الدنيا بالإمهال. ﴿حَتَّىٰ جَآءَهُمُ ٱلْحَقُّ﴾ أي: محمدٌ ﷺ بالتوحيد والإسلام الذي هو أصلُ دين إبراهيم؛ وهو الكلمة التي بقَّاها اللهُ في عقِبه. ﴿وَرَسُولٌ مُّبِينٌ﴾ أي: يبيِّن لهم ما بهم إليه حاجة.

﴿وَلَمَّا جَآءَهُمُ ٱلْحَقُّ﴾ يعني القرآن. ﴿قَالُوا۟ هَٰذَا سِحْرٌ وَإِنَّا بِهِۦ كَٰفِرُونَ﴾ جاحدون[٥].

---

(١) سلف ٢/ ١٠٩.

(٢) في أحكام القرآن ٤/ ١٦٧٠، وما قبله منه.

(٣) المثبت من (ف) وأحكام القرآن، وفي باقي النسخ: كتاب.

(٤) هي قراءة الأعمش كما في المحرر الوجيز ٥/ ٥٢، وهي قراءة شاذة.

(٥) تفسير أبي الليث ٣/ ٢٠٦.

﴿وَقَالُواْ لَوْلَا نُزِّلَ﴾ أي: هلَّا نزل ﴿هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ عَلَىٰ رَجُلٍ﴾ وقرئ: «على رَجْل» بسكون الجيم. ﴿مِّنَ ٱلْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ﴾ أي: من إحدى القريتَين؛ كقوله تعالى: ﴿يَخْرُجُ مِنْهُمَا ٱللُّؤْلُؤُ وَٱلْمَرْجَانُ﴾ [الرحمن: ٢٢] أي: من أحدهما[١]. أو على أحدِ رجلين من القريتين. القريتان: مكة والطائف. والرجلان: الوليدُ بنُ المغيرة بنِ عبد الله بن عمر ابن مخزوم عمُّ أبي جهل. والذي من الطائف أبو مسعود عروة بنُ مسعود الثقفي؛ قاله قتادة. وقيل: عمير بنُ عبد ياليل الثقفي من الطائف، وعتبة بنُ ربيعة من مكة؛ وهو قول مجاهد. وعن ابن عباس: أنَّ عظيم الطائف حبيب بنُ عمرٍو الثقفي. وقال السُّدِّيّ: كنانة بنُ عبد بنِ عمرو. وروي أنَّ الوليد بنَ المغيرة ـ وكان يُسمى ريحانةَ قريش ـ كان يقول: لو كان ما يقول محمدٌ حقًّا، لنزل عليَّ أو على أبي مسعود؛ فقال الله تعالى: ﴿أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ﴾[٢] يعني النبوَّةَ فيضعونها حيث شاؤوا![٣]

﴿نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ أي: أفْقَرنا قوماً وأغنينا قوماً؛ فإذا لم يكن أمرُ الدنيا إليهم؛ فكيف نفوِّض أمرَ النبوَّة إليهم؟ قال قتادة: تَلْقاه ضعيفَ القوَّة قليلَ الحيلة عَييَّ اللسان وهو مبسوطٌ له، وتلقاه شديدَ الحيلة بسيطَ اللسان وهو مُقَتَّرٌ عليه[٤].

وقرأ ابن عباس ومجاهدٌ وابن مُحَيْصِن في رواية عنه: «مَعَايِشَهُمْ»[٥]. وقيل: أي: نحن أعطينا عظيمَ القريتين ما أعطينا لا لكرامتهما عليَّ، وأنا قادرٌ على نزع النِّعمةِ عنهما، فأيُّ فضلٍ وقَدْرٍ لهما؟!

﴿وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَٰتٍ﴾ أي: فاضَلْنا بينهم، فمن فاضلٍ ومفضول

---

(١) الكشاف ٣/ ٤٨٥ . وقراءة «رَجْل» بسكون الجيم شاذة.

(٢) أخرج هذه الأقوال الطبري ٢٠/ ٥٨٠-٥٨٤ ، وينظر الوسيط للواحدي ٤/ ٧٠ .

(٣) النكت والعيون ٥/ ٢٢٣ .

(٤) النكت والعيون ٥/ ٢٢٣ ، وأخرجه الطبري ٢٠/ ٥٨٤-٥٨٥ .

(٥) ذكر القراءة عن ابن عباس ابن خالويه في القراءات الشاذة ص١٣٥ .

ورئيس ومرؤوس؛ قاله مقاتل. وقيل: بالحرية والرِّقّ؛ فبعضهم مالِكٌ وبعضهم مملوك. وقيل: بالغِنى والفقر؛ فبعضُهم غنيٌّ وبعضهم فقير. وقيل: بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر[١].

﴿لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سُخْرِيًّا﴾ قال السُّدِّيُّ وابن زيد: خَوَلاً وخُدَّاماً، يسخِّر الأغنياءُ الفقراءَ، فيكون بعضُهم سبباً لمعاشِ بعض. وقال قتادة والضحاك: يعني ليملكَ بعضُهم بعضاً[٢]. وقيل: هو من السُّخريَّة التي بمعنى الاستهزاء؛ أي: لِيستهزئَ الغنيُّ بالفقير[٣]. قال الأخفش: سَخِرت به وسَخِرت منه، وضَحِكت منه وضَحِكت به، وهزِئت منه وبه؛ كلٌّ يقال، والاسم: السُّخرِيَّة، بالضم؛ والسُّخْرِيُّ والسِّخْرِيّ، بالضمِّ والكسر[٤]. وكلُّ الناس ضمُّوا «سُخْرِيًّا» إلا ابنَ مُحَيْصِن ومجاهداً، فإنهما قرأا: «سِخْرِيًّا»[٥].

﴿وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾ أي: أفضل ممَّا يجمعون من الدنيا. ثم قيل: الرحمة: النبوَّة، وقيل: الجنة. وقيل: تمامُ الفرائض خيرٌ من كثرة النوافل. وقيل: ما يَتفضَّل به عليهم خيرٌ مما يجازيهم عليه من أعمالهم[٦].

قوله تعالى: ﴿وَلَوْلَآ أَن يَكُونَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً لَّجَعَلْنَا لِمَن يَكْفُرُ بِٱلرَّحْمَٰنِ لِبُيُوتِهِمْ سُقُفًا مِّن فِضَّةٍ وَمَعَارِجَ عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ ﴿٣٣﴾﴾

فيه خمسُ مسائل:

الأولى: قال العلماء: ذَكَرَ حقارةَ الدنيا وقلَّةَ خطرها، وأنها عنده من الهوان

---

(١) النكت والعيون ٥/ ٢٢٣ .

(٢) أخرج أقوالهم الطبري ٢٠/ ٥٨٥-٥٨٦ بنحوها.

(٣) ينظر تفسير أبي الليث ٣/ ٢٠٧ .

(٤) الصحاح (سخر)، وكلام الأخفش فيه.

(٥) ذكر قراءة ابن محيصن ابن خالويه في القراءات الشاذة ص١٣٥ .

(٦) النكت والعيون ٥/ ٢٢٤ .

بحيث كان يَجعل بيوتَ الكَفَرةِ ودَرَجَها ذهباً وفِضَّةً لولا غلبةُ حبِّ الدنيا على القلوب؛ فيَحمِلُ ذلك على الكفر[١].

قال الحسن: المعنى: لولا أنْ يكفُرَ الناسُ جميعاً بسبب ميلهم إلى الدنيا وتركِهم الآخرةَ، لأعطيناهم في الدنيا ما وصفناه؛ لِهوان الدنيا عند الله عزَّ وجلَّ. وعلى هذا أكثرُ المفسِّرين، ابنُ عباس والسُّدِّيُّ وغيرهم.

وقال ابن زيد: «وَلَوْلَا أَنْ يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً» في طلب الدنيا واختيارِها على الآخرة «لَجَعَلْنَا لِمَنْ يَكْفُرُ بِالرَّحْمَنِ لِبُيُوتِهِمْ سُقُفًا مِنْ فِضَّةٍ»[٢].

وقال الكسائي: المعنى: لولا أن يكونَ في الكفار غنيٌّ وفقير وفي المسلمين مِثلُ ذلك، لأعطينا الكفارَ من الدنيا هذا لهوانها.

الثانية: قرأ ابن كثيرٍ وأبو عمرٍو: «سَقْفًا» بفتح السين وإسكان القاف على الواحد، ومعناه الجمع، اعتباراً بقوله تعالى: ﴿فَخَرَّ عَلَيْهِمُ ٱلسَّقْفُ مِن فَوْقِهِمْ﴾ [النحل:٢٦]. وقرأ الباقون بضمِّ السينِ والقافِ على الجمع[٣]؛ مثل: رَهْن ورُهُن. قال أبو عبيد[٤]: ولا ثالث لهما. وقيل: هو جمع سقيف؛ مثل: كَثِيب وكُثُب، ورَغيف ورُغُف؛ قاله الفراء. وقيل: هو جمع سُقُوف، فيصير جَمْعَ الجمع[٥]؛ سَقْف وسُقُوف، نحو: فَلْس وفُلُوس. ثم جعلوا فُعولاً كأنه اسمُ واحد، فجمعوه على فُعُل.

وروي عن مجاهد: «سَقْفاً» بإسكان القاف[٦].

وقيل: اللام في «لِبيُوتِهِمْ» بمعنى على، أي: على بيوتهم. وقيل: بدل؛ كما

---

(١) أحكام القرآن لابن العربي ٤/ ١٦٧٠ .

(٢) أخرج هذه الأقوال الطبري ٢٠/ ٥٨٧ - ٥٨٨ .

(٣) السبعة ص٥٨٥ ، والتيسير ص١٩٦ . وينظر تفسير الطبري ٢٠/ ٥٨٩ .

(٤) في تفسير البغوي ٤/ ١٣٨ والكلام منه: أبو عبيدة.

(٥) بنحوه في معاني القرآن للفراء ٣/ ٣٢ .

(٦) المحرر الوجيز ٥/ ٥٤ .

تقول: فعلت هذا لزيدٍ لكرامته؛ قال الله تعالى: ﴿وَلِأَبَوَيْهِ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا ٱلسُّدُسُ﴾ [النساء: ١١] كذلك قال هنا: ﴿لَّجَعَلْنَا لِمَن يَكْفُرُ بِٱلرَّحْمَٰنِ لِبُيُوتِهِمْ﴾[١].

الثالثة: قوله تعالى: ﴿وَمَعَارِجَ﴾ يعني الدَّرَج؛ قاله ابن عباس، وهو قولُ الجمهور. واحدها مِعراج[٢]، والمِعراج: السُّلَّم؛ ومنه ليلة المعراج. والجمع: معارج ومعاريج؛ مثل: مفاتح ومفاتيح[٣]؛ لغتان.

«وَمَعَارِيجَ» قرأ أبو رجاء العُطَارِدِيُّ وطلحة بنُ مُصَرِّف[٤]؛ وهي المراقي والسلاليم. قال الأخفش: إن شئتَ جعلت الواحد مِعْرَج ومَعْرَج؛ مثل: مِرقاة ومَرقاة[٥].

﴿عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ﴾ أي: على المعارج يرتقون ويصعدون؛ يقال: ظهرت على البيت، أي: علوتُ سطحَه. وهذا لأنَّ مَن علا شيئاً وارتفع عليه ظهر للناظرين. ويقال: ظهرت على الشيء، أي: عَلِمْته. وظهرت على العدوّ، أي: غلبته.

وأنشد نابغةُ بني جَعْدةَ رسولَ الله ﷺ قولَه:

عَلَوْنا السماءَ عِزَّةً ومهابةً وإنَّا لنرجو فوق ذلك مظهرا[٦]

أي: مصعداً؛ فغضب رسولُ الله ﷺ وقال: «إلى أين؟» قال: إلى الجنة؟، قال: «أجل إن شاء الله»[٧].

---

(١) الكلام بنحوه في معاني القرآن للفراء ٣/ ٣١ ، وإعراب القرآن للنحاس ٤/ ١٠٧ .

(٢) النكت والعيون ٥/ ٢٢٤ ، وأخرج قول ابن عباس وغيره الطبري ٢٠/ ٥٩٠-٥٩١ .

(٣) الصحاح (عرج).

(٤) قراءة طلحة في القراءات الشاذة ص٨٥ . والمحرر الوجيز ٥/ ٥٤ .

(٥) الصحاح (عرج).

(٦) ورد البيت في الديوان ص٥١ و ٦٨ في قصيدتين، في الأولى براوية: بلغنا السماء مجدنا وجدودنا، وفي الثانية: بلغنا السما مجداً وجوداً وسوداً.

(٧) أخرجه البزار (٢١٠٤ كشف الأستار). قال الهيثمي في المجمع ٨/ ١٢٦ : فيه يعلى بن الأشدق، وهو ضعيف. اهـ . ورواية البيت فيه: علونا العباد عفة وتكرماً.

قال الحسن: واللهِ لقد مالت الدنيا بأكثرِ أهلِها وما فَعَلَ ذلك! فكيف لو فعل؟![1]

الرابعة: استدلَّ بعض العلماء بهذه الآيةِ على أنَّ السقف لا حَقَّ فيه لربِّ العُلْو؛ لأن الله تعالى جعل السقوفَ للبيوت كما جعل الأبوابَ لها. وهذا مذهبُ مالكٍ رحمه الله.

قال ابن العربي[2]: وذلك لأنَّ البيت عبارةٌ عن قاعة وجدار وسقف وباب، فمَن له البيتُ، فله أركانه. ولا خلاف أنَّ العُلْوَ له إلى السماء. واختلفوا في السُّفل؛ فمنهم مَن قال: هو له، ومنهم مَن قال: ليس له في باطن الأرض شيء. وفي مذهبنا القولان. وقد بيَّن حديثُ الإسرائيليِّ الصحيحِ ـ فيما تقدَّم ـ أنَّ رجلاً باع من رجل داراً، فبناها فوجد فيها جَرَّةً مِن ذهب، فجاء بها إلى البائع فقال: إنما اشتريتُ الدارَ دون الجرَّة، وقال البائع: إنما بِعتُ الدار بما فيها، وكلاهما[3] تدافعها. فقُضي بينهم[4] أنْ يزوِّجَ أحدُهما ولدَه مِن بنت الآخرَ ويكون المال لهما[5]. والصحيح أنَّ العُلْو والسُّفل له، إلَّا أنْ يَخرُجَ عنهما بالبيع، فإذا باع أحدُهما أحدَ الموضعين فله منه ما ينتفع به، وباقيه للمبتاع منه.

الخامسة: مِن أحكام العُلْو والسُّفل: إذا كان العُلْوُ والسُّفلُ بين رجلين، فيعتلُّ السُّفلُ أو يريد صاحبُه هَدْمَه؛ فذكر سُحْنون عن أشهب أنه قال: إذا أراد صاحبُ السُّفل أن يَهدِم، أو أراد صاحبُ العلو أن يبني عُلْوَه، فليس لصاحب السفل أن يهدم إلَّا مِن ضرورة، ويكون هدمُه له أرفقَ لصاحب العلو؛ لئلا ينهدم بانهدامه العلو،

---

(١) أخرجه الطبري ٢٠/ ٥٨٧ .

(٢) في أحكام القرآن ٤/ ١٦٧٠ . وينظر المحرر الوجيز ٥/ ٥٤ .

(٣) في النسخ: وكلهم، والمثبت من أحكام القرآن.

(٤) في النسخ زيادة: النبي ﷺ.

(٥) أخرجه بنحوه أحمد (٨١٩١)، والبخاري (٣٤٧٢)، ومسلم (١٧٢١) من حديث أبي هريرة ﷺ.

وليس لربِّ العلو أن يبنيَ على عُلْوه شيئاً لم يكن قبل ذلك، إلا الشيءَ الخفيفَ الذي لا يَضُرُّ بصاحب السفل. ولو انكسرت خشبةٌ من سقف العلو، لَأَدخلَ مكانَها خشبةً ما لم تكن أثقلَ منها ويُخافُ ضررُها على صاحب السفل. قال أشهب: وباب الدار على صاحب السفل. قال: ولو انهدم السُّفلُ أُجبر صاحبُه على بنائه، وليس على صاحب العُلْوِ أن يبنيَ السُّفل؛ فإن أبى صاحبُ السُّفل من البناء، قيل له: بِعْ ممن يبني.

وروى ابن القاسم عن مالكٍ في السُّفل لرجل والعلوِ لآخَر، فاعتلَّ السُّفل، فإنَّ صلاحه على ربِّ السُّفل، وعليه تعليقُ العُلْوِ حتى يُصلِحَ سُفلَه؛ لأن عليه: إمَّا أن يَحمِلَه على بنيان، أو على تعليق، وكذلك لو كان على العُلو عُلْوٌ، فتعليق العُلوِ الثاني على صاحب الأوسط. وقد قيل: إنَّ تعليق العُلو الثاني على ربِّ العُلو حتى يبنيَ الأسفل[1].

وحديث النعمان بنِ بشير عن النبيِّ ﷺ قال: «مَثَلُ القائمِ على حدود الله والواقعِ فيها كمثل قومٍ اسْتَهَمُوا على سفينة، فأصاب بعضُهم أعلاها وبعضُهم أسفلها، فكان الذين في أسفلها إذا استقَوا من الماء، مرُّوا على مَن فوقهم فقالوا: لو أنَّا خرقنا في نصيبنا خَرْقاً ولم نؤذِ مَن فوقنا. فإنْ يتركوهم وما أرادوا، هلكوا جميعاً. وإن أخذوا على أيديهم نَجَوا ونَجَوا جميعاً»[2] أصلٌ في هذا الباب. وهو حُجَّةٌ لمالكٍ وأشهب. وفيه دليلٌ على أنَّ صاحب السفل ليس له أن يُحدِثَ على صاحب العُلْوِ ما يَضرُّ به، وأنه إن أحدث عليه ضرراً؛ لَزِمه إصلاحُه دون صاحبِ العُلو، وأنَّ لصاحب العُلو منعَه من الضرر؛ لقوله عليه الصلاة والسلام: «فإن أخذوا على أيديهم نَجَوْا ونَجَوْا جميعاً» ولا يجوز الأخذُ إلَّا على يد الظالم أو مَن هو ممنوعٌ من إحداث ما لا يجوز له في السُّنة.

وفيه دليلٌ على استحقاق العقوبةِ بترك الأمر بالمعروف والنهيِ عن المنكر، وقد

---

(١) ينظر النوادر والزيادات ١١/ ٢٢٧ ، وعقد الجواهر الثمينة ٢/ ٦٤٣ .

(٢) سلف ٩/ ٤٨٧ .

مضى في «الأنفال»[١].

وفيه دليلٌ على جواز القُرعةِ واستعمالِها، وقد مضى في «آل عمران»[٢]. فتأمَّل كُلًّا في موضعه تجدْه مبيَّناً، والحمد لله.

قوله تعالى: ﴿وَلِبُيُوتِهِمْ أَبْوَٰبًا وَسُرُرًا عَلَيْهَا يَتَّكِـُٔونَ ﴿٣٤﴾ وَزُخْرُفًا ۚ وَإِن كُلُّ ذَٰلِكَ لَمَّا مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۚ وَٱلْـَٔاخِرَةُ عِندَ رَبِّكَ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٣٥﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَلِبُيُوتِهِمْ أَبْوَٰبًا﴾ أي: ولَجعلنا لبيوتهم. وقيل: «لِبُيُوتِهِمْ» بدلُ اشتمالٍ مِن قوله: ﴿لِمَن يَكْفُرُ بِٱلرَّحْمَٰنِ﴾[٣]. «أبواباً» أي: مِن فضة. ﴿وَسُرُرًا﴾ كذلك؛ وهو جمع السَّرير[٤]. وقيل: جمع الأَسِرَّة، والأَسِرَّة جمعُ السرير، فيكون جمعَ الجمع[٥].

﴿عَلَيْهَا يَتَّكِـُٔونَ﴾ الاتِّكاء والتَّوكُّؤ: التحامل على الشيء[٦]؛ ومنه: ﴿أَتَوَكَّؤُا۟ عَلَيْهَا﴾ [طه: ١٨]. ورجل تُكَأَة، مثال هُمَزَة: كثير الاتِّكاء. والتُّكَأة أيضاً: ما يُتَّكأ عليه. واتَّكأ على الشيء فهو متَّكِئ؛ والموضع متَّكَأ. وطعنه حتى أتكأه، على أَفْعَلَه، أي: ألقاه على هيئة المُتَّكِئ. وتوكَّأت على العصا. وأصل التاء في جميع ذلك واو[٧]، ففُعل به ما فُعل بـ: اتَّزن واتَّعد.

﴿وَزُخْرُفًا﴾ الزُّخرف هنا الذهب؛ عن ابن عباس وغيرِه[٨]. نظيرُه: ﴿أَوْ يَكُونَ لَكَ

---

(١) ٩/ ٤٨٧.

(٢) ٥/ ١٣٢.

(٣) مضى في المسألة الثانية من الآية السابقة.

(٤) الوسيط للواحدي ٤/ ٧١.

(٥) ينظر تهذيب اللغة ١٢/ ٢٨٧.

(٦) الوسيط للواحدي ٤/ ٧١.

(٧) الصحاح (وكأ).

(٨) أخرجه عنه وعن غيره الطبري ٢٠/ ٥٩٢-٥٩٣.

﴿بَيْتٌ مِّن زُخْرُفٍ﴾ [الإسراء: ٩٣][١] وقد تقدَّم[٢]. وقال ابن زيد: هو ما يتخذه الناسُ في منازلهم من الأمتعة والأثاث[٣]. وقال الحسن: النقوش[٤]؛ وأصله الزينة. يقال: زخرفت الدار، أي: زيَّنتها. وتزخرف فلان، أي: تزيَّن[٥]. وانتصب «زُخْرُفاً» على معنى: وجعلنا لهم مع ذلك زخرفاً. وقيل: بنزع الخافض؛ والمعنى: لَجعلنا[٦] لهم سُقُفاً وأبواباً وسُرُراً من فضة ومِن ذهب؛ فلما حَذف «مِن»، قال: «وزخرفاً» فنصب.

﴿وَإِن كُلُّ ذَٰلِكَ لَمَّا مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ قرأ عاصمٌ وحمزة وهشام عن ابن عامر: ﴿وَإِن كُلُّ ذَٰلِكَ لَمَّا مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ بالتشديد. الباقون بالتخفيف[٧]؛ وقد ذُكر هذا. وروي عن أبي رجاءٍ كسرُ اللام من «لما»؛ فـ «ما» عنده بمنزلة الذي، والعائدُ عليها محذوف، والتقدير: وإنْ كلُّ ذلك لِلذي هو متاعُ الحياةِ الدنيا[٨]، وحذفُ الضمير هاهنا كحذفه في قراءة مَن قرأ: ﴿مَثَلًا مَّا بعوضةٌ فَمَا فَوْقَهَا﴾[٩] [البقرة: ٢٦] و﴿تَمَامًا عَلَى ٱلَّذِىٓ أَحْسَنُ﴾ [الأنعام: ١٥٤].

أبو الفتح: ينبغي أنْ يكونَ «كُلُّ» على هذه القراءةِ منصوبةً؛ لأنَّ «إنْ» مخفَّفةٌ من الثقيلة، وهي إذا خُفِّفت وبطَلَ عملُها، لَزِمتها اللامُ في آخر الكلام؛ للفرق بينها وبين «إن» النافيةِ التي بمعنى «ما»؛ نحو: إنْ زيدٌ لقائم، ولا لامَ هنا سوى الجارَّة[١٠].

---

(١) تفسير البغوي ٤/ ١٣٨ .

(٢) ١٣/ ١٧٦ .

(٣) أخرجه الطبري ٢٠/ ٥٩٣ .

(٤) النكت والعيون ٥/ ٢٢٥ .

(٥) ينظر تهذيب اللغة ٧/ ٦٧٢ .

(٦) في (د) و(م): فجعلنا. وينظر معاني القرآن للفراء ٣/ ٣٢ ، وإعراب القرآن للنحاس ٤/ ١٠٩ .

(٧) وهو الوجه الثاني لهشام. السبعة ص٥٨٦ ، والتيسير ص١٩٦ .

(٨) المحتسب ٢/ ٢٥٥ ، والمحرر الوجيز ٥/ ٥٤ .

(٩) أي: ما هو بعوضة. المحتسب ٢/ ٢٥٥ ، وهي قراءة شاذة، وينظر ١/ ٣٦٥ .

(١٠) المحتسب ٢/ ٢٥٥ . وقال ابن جني بعد ذلك: ولو جاءت معها لوجب أن تقول: وإنْ كلُّ ذلك لَلِما =

﴿وَٱلْآخِرَةُ عِندَ رَبِّكَ لِلْمُتَّقِينَ﴾ يريد: الجنةُ لمن اتَّقى وخاف.

وقال كعب: إني لَأجد في بعض كتبِ الله المنزلة: لولا أنْ يَحْزَن عبدي المؤمن، لكلَّلتُ رأسَ عبدي الكافرِ بالإكليل، ولا يتصدَّعُ ولا يَنبِض منه عِرْقٌ بوجع[١].

وفي صحيح الترمذيِّ عن أبي هريرة قال: قال رسولُ الله ﷺ: «الدنيا سجنُ المؤمن وجَنة الكافر»[٢]. وعن سهل بنِ سعد قال: قال رسول الله ﷺ: «لو كانت الدنيا تَعْدِل عند الله جَناحَ بعوضة، ما سقى كافراً منها شَرْبةَ ماء». وفي الباب عن أبي هريرة، وقال: حديثٌ صحيح[٣] غريب[٤].

وأنشدوا:

فلو كانت الدنيا جزاءً لمحسنٍ ... إذاً لم يكن فيها معاشٌ لظالمِ

لقد جاع فيها الأنبياءُ كرامةً ... وقد شَبِعت فيها بطونُ البهائمِ

وقال آخَر[٥]:

تَسَمَّعْ[٦] من الأيام إن كنت حازماً ... فإنَّك فيها بين ناءٍ وآمِرِ

إذا أبقت الدنيا على المرء دينَه ... فما فاته منها فليس بضائرِ

فلا تَزِنُ الدنيا جناحَ بعوضةٍ ... ولا وزنَ زِفٍّ[٧] من جَناحِ لطائرِ

= متاعُ الحياة الدنيا. وقال السمين الحلبي في الدرّ المصون ٩/ ٥٨٦ : كان الوجه أن تدخل اللام الفارقة لعدم إعمالها، إلا أنها لما دلَّ الدليل على الإثبات جاز حذفها.

(١) أخرجه عبد الرزاق في تفسيره ٢/ ١٩٧ عن معمر، عن أبان.

(٢) سنن الترمذي (٢٣٢٤)، وهو عند أحمد (٨٢٨٩)، ومسلم (٢٩٥٦).

(٣) في (د) و(م): حسن.

(٤) سنن الترمذي (٢٣٢٠). وسلف ٨/ ٣٦٢ .

(٥) هو أبو العتاهية، وقد سلفت الأبيات ٨/ ٣٦٣ باختلاف يسير.

(٦) في (م): تمتع.

(٧) في (د) و(ز) و(م): رق، وفي (ظ): زق، والمثبت من الموضع السالف للأبيات. والزف: صغار ريش النعام، أو كل طائر. القاموس (زفف).

فلم يرضَ بالدنيا ثواباً لمحسنٍ ولا رَضِيَ الدنيا عقاباً لكافرِ

قوله تعالى: ﴿وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ نُقَيِّضْ لَهُۥ شَيْطَٰنًا فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٌ ﴿٣٦﴾ وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٣٧﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَنَا قَالَ يَٰلَيْتَ بَيْنِى وَبَيْنَكَ بُعْدَ ٱلْمَشْرِقَيْنِ فَبِئْسَ ٱلْقَرِينُ ﴿٣٨﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ نُقَيِّضْ لَهُۥ شَيْطَٰنًا فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٌ﴾ وقرأ ابن عباسٍ وعكرمة: «ومَن يَعْشَ» بفتح الشين[١]، ومعناه: يعمَى؛ يقال منه: عَشِيَ يَعْشَى عَشاً: إذا عَمِيَ. ورجلٌ أعشى وامرأةٌ عشواء: إذا كان لا يُبصر؛ ومنه قولُ الأعشى:

رأتْ رجلاً غائبَ الوافِدَيْـ ـنِ مختلِفَ الخَلْقِ أعْشَى ضريرا[٢]

وقولُه:

أأنْ رأتْ رجلاً أعشى أضرَّ به رَيْبُ المَنُونِ ودَهْرٌ مُفْنِدٌ خَبِلُ[٣]

الباقون بالضم؛ مِن: عشا يعشُو: إذا لَحِقَه ما يلحق الأعشى[٤].

وقال الخليل: العَشْو هو النظر ببصرٍ ضعيف؛ وأنشد:

متى تأتِهِ تَعْشُو إلى ضَوْء نارِهِ تَجِدْ خيرَ نارٍ عندها خيرُ مُوقِدِ[٥]

وقال آخر:

لَنِعمَ الفتى تعشو إلى ضوء ناره إذا الريحُ هبَّت والمكانُ جديبُ[٦]

---

(١) قراءة ابن عباس في تفسير البغوي ٤/ ١٣٩ .

(٢) ديوان الأعشى ص١٤٥ . والوافد: المرتفِع من الخد عند المضغ. ومن شاب غاب وافداه. القاموس (وفد).

(٣) سلف ٥/ ١٧٤ .

(٤) إعراب القرآن للنحاس ٤/ ١١٠ .

(٥) البيت للحطيئة، وسلف ٤/ ٤٩١ . وكلام الخليل في تفسير البغوي ٤/ ١٣٩ ، وينظر كتاب العين ٢/ ١٨٧ .

(٦) قائله الحطيئة، وهو في ديوانه ص٢٤٨ . قال شارحه: الشطر الثاني يعني في الشتاء والجدب.

الجوهريّ: والعَشَا ـ مقصور ـ مصدرُ الأعشى، وهو الذي لا يُبصر بالليل ويبصر بالنهار. والمرأة عشواء، وامرأتان عشواوان. وأعشاه اللهُ فعَشِيَ ـ بالكسر ـ يَعْشَى عَشًا، وهما يَعْشَيان، ولم يقولوا: يَعْشَوان؛ لأن الواو لمَّا صارت في الواحد ياءً لكسرة ما قبلها، تُركت في التثنية على حالها. وتعاشَى: إذا أَرى مِن نفسه أنه أعشى. والنسبة إلى أَعْشَى أَعْشَوِيّ. وإلى العَشِيَّة عَشَوِيّ. والعشواء: الناقة التي لا تُبصر أمامها؛ فهي تَخْبِط بيديها كلَّ شيء. ورَكِبَ فلانٌ العشواء: إذا خَبَط أمرَه على غير بصيرة. وفلانٌ خابطٌ خَبْطَ عشواء[1].

وهذه الآية تتصل بقوله أوَّلَ السورة: ﴿أَفَنَضْرِبُ عَنكُمُ ٱلذِّكْرَ صَفْحًا﴾ [الآية: ٥] أي: نواصل لكم الذِّكر؛ فمن يَعْشُ عن ذلك الذكرِ بالإعراض عنه إلى أقاويل المضِلِّين وأباطيلِهم «نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَاناً» أي: نسبِّبْ له شيطاناً جزاءً له على كفره «فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ» قيل: في الدنيا، يمنعه من الحلال، ويبعثه على الحرام، وينهاه عن الطاعة، ويأمره بالمعصية؛ وهو معنى قولِ ابنِ عباس[2].

وقيل: في الآخرة إذا قام مِن قبره؛ قاله سعيد الجُرَيْرِي.

وفي الخبر: أنَّ الكافر إذا خرج من قبره، يُشْفَعُ بشيطان لا يزال معه حتى يدخلا النار. وأنَّ المؤمن يُشْفع بملَكَ حتى يقضيَ اللهُ بين خلقه؛ ذكره المهدويّ[3].

وقال القُشيري: والصحيح: فهو له قرينٌ في الدنيا والآخرة.

وقال أبو الهيثم والأزهري: عَشْوتُ إلى كذا، أي: قصدته. وعشوت عن كذا، أي: أعرضت عنه، فتفرِّق بين «إلى» و«عن»؛ مثل: ملْتُ إليه، ومِلْتُ عنه[4]. وكذا

---

(١) الصحاح (عشو).

(٢) النكت والعيون ٥/٢٢٦.

(٣) وأخرجه الطبري ٢٠/٥٩٩ عن سعيد الجُريري بنحوه، ونسبه الماوردي في النكت والعيون ٥/٢٢٦ لسعيد بن جبير.

(٤) تهذيب اللغة ٣/٥٥-٥٦.

قال قتادة: يَعْشُ: يُعْرِض؛ وهو قول الفراء[١].

النحاس[٢]: وهو غيرُ معروفٍ في اللغة. وقال القُرَظي: يولِّي ظهره؛ والمعنى واحد. وقال أبو عبيدة والأخفش: تُظْلِم عينُه [عنه][٣].

وأنكر القُتَبيُّ[٤] عشوت بمعنى أعرضت؛ قال: وإنما الصواب: تعاشيت. والقول قول أبي الهيثم والأزهري. وكذلك قال جميع أهل المعرفة.

وقرأ السُّلَمِيُّ، وابن أبي إسحاق، ويعقوبُ، وعِصْمة عن عاصم وعن الأعمش: «يقيِّض» بالياء؛ لِذِكر «الرَّحْمَن» أوَّلاً؛ أي: يقيِّض له الرحمنُ شيطاناً[٥]. الباقون بالنون.

وعن ابن عباس: «يُقَيَّضْ له شيطانٌ فهو له قرين»[٦] أي: ملازمٌ ومصاحب. قيل: «فَهُوَ» كنايةٌ عن الشيطان؛ على ما تقدَّم. وقيل: عن الإعراض[٧] عن القرآن؛ أي: هو قرينٌ للشيطان.

﴿وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ﴾ أي: وإنَّ الشياطين لَيصدُّونهم عن سبيل الهدى؛ وذُكر بلفظ الجمع؛ لأن «مَن» في قوله: «وَمَنْ يَعْشُ» في معنى الجمع[٨].

---

(١) معاني القرآن له ٣/ ٣٢ ، وقول قتادة أخرجه الطبري ٢٠/ ٥٩٦ . قال الفراء: ومن قرأها: يَعْشَ عن: يريد: يَعْمَ عنه.

(٢) في معاني القرآن ٦/ ٣٥٧ .

(٣) مجاز القرآن لأبي عبيدة، وما بين حاصرتين منه، ونقله عنه ابن الجوزي في زاد المسير ٧/ ٣١٥ ، وذكره البغوي ٤/ ١٣٩ عن أبي عبيدة والأخفش بلفظ: يظلم بصرف بصره عنه.

(٤) في تفسير غريب القرآن ص٣٩٨ . ووقع في (د) و(ز) و(م): العتبي.

(٥) قراءة السلمي والأعمش في القراءات الشاذة ص١٣٥ ، وقراءة يعقوب في النشر ٢/ ٣٦٩ ، ورواية عصمة ـ وهي عن أبي بكر عن عاصم ـ في جامع البيان ٢/ ٤٠١ ، والنشر ٢/ ٣٦٩ ، والقراءات الشاذة ص١٣٥ .

(٦) المحرر الوجيز ٥/ ٥٥ .

(٧) في النسخ الخطية: التعرض.

(٨) ينظر معاني القرآن للفراء ٣/ ٣٢ ، وإعراب القرآن للنحاس ٤/ ١١٠ .

﴿وَيَحْسَبُونَ﴾ أي: ويحسب الكفار ﴿أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ﴾. وقيل: ويَحسبُ الكفار أنَّ الشياطين مهتدون فيطيعونهم.

﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَنَا﴾ على التوحيد قرأ أبو عمرٍو وحمزة والكسائيُّ وحفص؛ يعني: الكافر يوم القيامة. الباقون: «جاءانا» على التثنية[١]، يعني: الكافر وقرينه وقد جُعلا في سلسلة واحدة[٢]؛ فيقول الكافر: «يَا لَيْتَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ بُعْدَ المَشْرِقَيْنِ» أي: مشرق الشتاء ومشرقُ الصيف[٣]، كما قال تعالى: ﴿رَبُّ ٱلْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ ٱلْمَغْرِبَيْنِ﴾ [الرحمن: ١٧] ونحوُه قولُ مقاتل[٤].

وقراءة التوحيد وإن كان ظاهرُها الإفراد، فالمعنى لهما جميعاً؛ لأنه قد عرَّف ذلك بما بعده؛ كما قال:

وعَيْنٌ لها حَدْرَةٌ بَدْرَةٌ شُقَّت مآقيهما من أُخَرْ[٥]

قال مقاتل: يتمنَّى الكافرُ أنَّ بينهما بُعْدَ مشْرِق أطولِ يومٍ في السنة إلى مَشْرِق أقصرِ يومٍ في السنة، ولذلك قال: «بُعْدَ المَشْرِقَيْنِ»[٦].

وقال الفراء[٧]: أراد المشرقَ والمغرب، فغَلَّب اسمَ أحدهما، كما يقال: القمران: للشمس والقمر، والعُمَران: لأبي بكر وعمر، والبصرتان: للكوفة والبصرة، والعصران: للغَدَاة والعصر. وقال الشاعر:

أخذنا بآفاق السماءِ عليكُمُ لنا قمراها والنجوم الطوالعُ[٨]

---

(١) السبعة ص٥٨٦ ، والتيسير ص١٩٦ .

(٢) الوسيط للواحدي ٤/ ٧٣ ، وتفسير البغوي ٤/ ١٣٩ .

(٣) معاني القرآن للفراء ٣/ ٣٣ ، وتفسير الطبري ٢٠/ ٥٩٨ .

(٤) سيأتي قوله.

(٥) البيت لامرئ القيس، وهو في ديوانه ص١٦٦ ، وسلف ١٦/ ٢٦ .

(٦) ذكر قوله بنحوه ابن الجوزي في زاد المسير ٧/ ٣١٦ .

(٧) في معاني القرآن ٣/ ٣٣ .

(٨) سلف عند تفسير الآية (٥٢) من سورة فصلت.

وأنشد أبو عبيدة لجرير:

ما كان يرضى رسولُ الله فعلَهُمُ والعُمَران[١] أبو بكر ولا عُمرُ

وأنشد سيبويه:

قَدْنِيَ مِن نَصْر الخُبَيْبَيْنِ قَدِي

يريد عبدَ الله ومصعباً ابنيَ الزبير، وإنما أبو خبيب عبدُ الله[٢].

﴿فَبِئْسَ ٱلْقَرِينُ﴾ أي: فبئس الصاحبُ أنت؛ لأنه يورده إلى النار. قال أبو سعيد الخُدريّ: إذا بُعث الكافرُ، زُوِّج بقرينه من الشياطين، فلا يفارقُه حتى يصيِّرَه إلى النار[٣].

قوله تعالى: ﴿وَلَن يَنفَعَكُمُ ٱلْيَوْمَ إِذ ظَّلَمْتُمْ أَنَّكُمْ فِى ٱلْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ ﴿٣٩﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَلَن يَنفَعَكُمُ ٱلْيَوْمَ إِذ ظَّلَمْتُمْ﴾ «إذْ» بَدَلٌ من اليوم؛ أي: يقول الله للكافرين[٤]: لن ينفعكم اليوم إذ أشركتم في الدنيا هذا الكلامُ؛ وهو قولُ الكافر: «يَا لَيْتَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ بُعْدَ المَشْرِقَيْنِ» أي: لا تنفع الندامة اليوم.

﴿إِنَّكُمْ﴾ بالكسر ﴿فِى ٱلْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ﴾ وهي قراءة ابنِ عامر باختلاف عنه. الباقون بالفتح[٥]. وهي في موضعِ رفع، تقديره: ولن ينفعكم اليوم اشتراكُكم في العذاب[٦]؛ لأنَّ لكل واحدٍ نصيبَه الأَوفرَ منه. أَعْلمَ اللهُ تعالى أنه مَنعَ أهلَ النار التأسِّيَ كما يتأسَّى أهلُ المصائب في الدنيا، وذلك أنَّ التأسِّيَ يستروِحه أهلُ الدنيا، فيقول أحدهم: لي

---

(١) في (د) و(ز) و(ظ): والطيبان، وسلف بهذا اللفظ عند تفسير الآية (٣٤) من سورة فصلت.

(٢) معاني القرآن للنحاس ٦/ ٣٦١ . وسلف الرجز عند تفسير الآية (١٣٠) من سورة الصافات.

(٣) تفسير البغوي ٤/ ١٣٩ .

(٤) في النسخ عدا (ظ): للكافر.

(٥) السبعة ص٥٨٦ . وقراءة ابن عامر المذكورة هي من رواية التغلبي عنه، كما ذكر أبو عمرو الداني في جامع البيان ٢/ ٤٠١ .

(٦) إعراب القرآن للنحاس ٤/ ١١١ .

في البلاء والمصيبة أُسوة؛ فيُسكن ذلك مِن حزنه؛ كما قالت الخنساء:

فلولا كثرةُ الباكين حولي ... على إخوانهم لقتلت نفسي

وما يبكون مثلَ أخي ولكن ... أُعزِّي النفسَ عنه بالتأسِّي[1]

فإذا كان في الآخرة، لم ينفعهم التأسِّي شيئاً؛ لِشغلهم بالعذاب.

وقال مقاتل: لن ينفعَكم الاعتذارُ والندم اليوم؛ لأن قُرَناءكم وأنتم في العذابِ مشترِكون كما اشتركتم في الكفر[2].

قوله تعالى: ﴿أَفَأَنتَ تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ أَوْ تَهْدِى ٱلْعُمْىَ وَمَن كَانَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٤٠﴾﴾

قوله تعالى: ﴿أَفَأَنتَ تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ أَوْ تَهْدِى ٱلْعُمْىَ﴾ يا محمد ﴿وَمَن كَانَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ أي: ليس لك ذلك؛ فلا يضيقُ صدرُك إن كفروا؛ ففيه تسليةٌ للنبيِّ ﷺ. وفيه ردٌّ على القَدَرية وغيرِهم، وأنَّ الهدى والرُّشدَ والخِذلان في القلب خَلْقُ الله تعالى، يُضِلُّ من يشاء ويهدي من يشاء.

قوله تعالى: ﴿فَإِمَّا نَذْهَبَنَّ بِكَ فَإِنَّا مِنْهُم مُّنتَقِمُونَ ﴿٤١﴾ أَوْ نُرِيَنَّكَ ٱلَّذِى وَعَدْنَٰهُمْ فَإِنَّا عَلَيْهِم مُّقْتَدِرُونَ ﴿٤٢﴾﴾

قوله تعالى: ﴿فَإِمَّا نَذْهَبَنَّ بِكَ﴾ يريد: نخرجنَّك من مكةَ من أذى قريش[3]. ﴿فَإِنَّا مِنْهُم مُّنتَقِمُونَ . أَوْ نُرِيَنَّكَ ٱلَّذِى وَعَدْنَٰهُمْ﴾ وهو الانتقامُ منهم في حياتك. ﴿فَإِنَّا عَلَيْهِم مُّقْتَدِرُونَ﴾ قال ابن عباس: قد أراه اللهُ ذلك يومَ بدر[4]؛ وهو قولُ أكثرِ المفسرين[5].

---

(١) ديوانها ص٨٤-٨٥.

(٢) تفسير البغوي ٤/ ١٤٠.

(٣) النكت والعيون ٥/ ٢٢٧.

(٤) زاد المسير ٧/ ٣١٧.

(٥) تفسير البغوي ٤/ ١٤٠.

وقال الحسن وقتادة: هي في أهل الإسلام؛ يريد ما كان بعد النبيِّ ﷺ مِن الفتن. و«نَذْهَبَنَّ بِكَ» على هذا: نتوفَّينَّك. وقد كان بعد النبيِّ ﷺ نِقمةٌ شديدةٌ، فأكرم الله نبيَّه ﷺ وذهب به، فلم يُرِه في أُمته إلَّا الذي[1] تَقَرُّ به عينُه، وأبقى النِّقمةَ بعده، وليس مِن نبيٍّ إلَّا وقد أُرِي النقمةَ في أمته[2]. ورُوِيَ أن النبيَّ ﷺ أُرِي ما لَقِيَت أُمَّتُه مِن بعده، فما زال منقبضاً، ما انبسط ضاحكاً حتى لقيَ اللهَ عزَّ وجلَّ[3]. وعن ابن مسعود: أنَّ النبيَّ ﷺ قال: «إذا أراد اللهُ بأُمَّة خيراً، قَبض نبيَّها قبلها، فجعله لها فَرَطاً وسَلَفاً. وإذا أراد بأمة عذاباً، عذَّبها ونبيُّها حيٌّ؛ لتَقَرَّ عينُه لمَّا كذَّبوه وعصَوا أمرَه»[4].

قوله تعالى: ﴿فَٱسْتَمْسِكْ بِٱلَّذِىٓ أُوحِىَ إِلَيْكَ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٤٣﴾ وَإِنَّهُۥ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ ۖ وَسَوْفَ تُسْـَٔلُونَ ﴿٤٤﴾﴾

قوله تعالى: ﴿فَٱسْتَمْسِكْ بِٱلَّذِىٓ أُوحِىَ إِلَيْكَ ۖ﴾ يريد: القرآن، وإنْ كذَّب به مَن كذَّب؛ فَ ﴿إِنَّكَ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ يوصلك إلى الله ورضاه وثوابه.

﴿وَإِنَّهُۥ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ ۖ﴾ يعني: القرآنُ شرفٌ لك ولقومك من قريش[5]؛ إذ نزل بلغتهم وعلى رجل منهم، نظيرُه: ﴿لَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ كِتَٰبًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ ۖ﴾ [الأنبياء: ١٠] أي: شَرَفُكم. فالقرآن نزل بلسان قريشٍ وإياهم خاطَب؛ فاحتاج أهلُ اللغات كلِّها إلى لسانهم، كلُّ مَن آمن بذلك، فصاروا عِيالاً عليهم؛ لأن أهل كلِّ لغةٍ احتاجوا إلى أنْ يأخذوه من لغتهم، حتى يقفوا على المعنى الذي عني به، من الأمر والنهي وجميعِ ما

---

(١) في النسخ عدا (ظ): التي.

(٢) أخرجه الطبري ٢٠/ ٦٠٠ عن الحسن وقتادة بنحوه.

(٣) هو بعض أثر قتادة السالف.

(٤) لم نقف عليه من حديث ابن مسعود ﷺ. وأخرجه ابن حبان (٦٦٤٧) من حديث أبي موسى ﷺ. وأورده مسلم (٢٢٨٨) وقال فيه: حُدِّثت عن أبي أسامة.

(٥) النكت والعيون ٥/ ٢٢٧ عن ابن عباس رضي الله عنهما. وأخرجه عنه الطبري ٢٠/ ٦٠٣ ، والطبراني في الكبير (١٣٠٣٠).

فيه من الأنباء، فشَرُفُوا بذلك على سائر أهل اللغات؛ ولذلك سُمِّي عربيًّا.

وقيل: بيانٌ لك ولأُمتك فيما بكم إليه حاجة.

وقيل: تذكرةٌ تذكُرون به أمرَ الدِّينِ وتعملون به[١].

وقيل: «وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَكَ وَلِقَوْمِكَ» يعني الخلافة؛ فإنها في قريش لا تكون في غيرهم؛ قال النبيُّ ﷺ: «الناس تَبَعٌ لقريش في هذا الشأن، مُسْلمُهم تَبَعٌ لمسلمهم، وكافرُهم تبع لكافرهم»[٢].

وقال مالك: هو قول الرجل: حدَّثني أبي عن أبيه، حكاه ابن أبي سلمة عن أبيه، عن مالك بن أنس، فيما ذكر الماورديُّ[٣] والثعلبيُّ وغيرهما.

قال ابن العربي[٤]: ولم أجد في الإسلام هذه الرتبة[٥] لأحد إلا ببَغْداد، فإنَّ بني التميميِّ بها يقولون: حدَّثني أبي قال: حدَّثني أبي، إلى رسول الله ﷺ؛ وبذلك شَرُفت أَقدارُهم، وعظَّم الناسُ شأنهم، وتهمَّمت الخلافة بهم. ورأيتُ بمدينة السلامِ ابنَي أبي محمدٍ رِزقِ الله بنِ عبد الوهَّاب أبي الفرج بنِ عبد العزيز بن الحارث بن أسد بن الليث بن سليمان بن أسود بن سفيان بن يزيد بن أُكَيْنة بنِ عبد الله التميميِّ، وكانا يقولان: سمعنا أبانا رزقَ الله يقول: سمعت أبي يقول: سمعت أبي يقول: سمعت أبي يقول: سمعت أبي يقول: سمعت أبي يقول[٦]: سمعت عليَّ بن أبي طالب ﷺ يقول ـ وقد سئل عن الحنَّان المَنَّان ـ فقال: الحنَّان الذي يُقبل على مَن أعرض عنه،

---

(١) النكت والعيون ٥/ ٢٢٧ عن ابن عيسى.

(٢) أخرجه أحمد (٧٣٠٦)، والبخاري (٣٤٩٥)، ومسلم (١٨١٨) من حديث أبي هريرة ﷺ.

(٣) النكت والعيون ٥/ ٢٢٧ .

(٤) في أحكام القرآن ٤/ ١٦٧١ .

(٥) في أحكام القرآن: المرتبة.

(٦) عبارة: سمعت أبي؛ وردت في (ز) و(ق) سبع مرات، وفي (ظ) ثماني مرات، وفي أحكام القرآن ثلاث مرات. وقد أخرجه الخطيب في تاريخه ١١/ ٣٢ عن عبد الوهاب بن عبد العزيز، بهذا الإسناد.

والمنَّان الذي يبدأ بالنوال قبل السؤال[١]. والقائل سمعتُ عليًّا: أُكَيْنة بنُ عبد الله جَدُّهم الأعلى. والأقوى أن يكون المرادُ بقوله: «وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَكَ وَلِقَوْمِكَ» يعني القرآن؛ فعليه انبنى الكلام، وإليه يرجع المصير، والله أعلم.

قال الماورديّ: «وَلِقَوْمِكَ» فيه[٢] قولان: أحدهما: مَن اتَّبعك مِن أمتك؛ قاله قتادة، وذكره الثعلبيُّ[٣] عن الحسن. الثاني: لقومك من قريش؛ فيقال: ممن هذا؟ فيقال: من العرب، فيقال: من أيِّ العرب؟ فيقال: من قريش؛ قاله مجاهد[٤].

قلت: والصحيح أنه شرفٌ لمن عَمِلَ به، كان من قريش أو من غيرهم. رويَ عن ابن عباس قال: أَقبَل نبيُّ الله ﷺ من سَرِيَّة أو غَزَاة، فدعا فاطمةَ فقال: «يا فاطمة، اشتري نفسَك من الله، فإني لا أُغْني عنكِ من الله شيئاً». وقال مثلَ ذلك لنِسْوَته، وقال مثلَ ذلك لِعترته، ثم قال نبيُّ الله ﷺ: «ما بنو هاشمٍ بأَولى الناس بأمتي، إنَّ أولى الناس بأمتي المتقون، ولا قريشٌ بأولى الناس بأمتي، إنَّ أولى الناس بأمتي المتقون، ولا الأنصارُ بأولى الناس بأمتي، إن أولى الناس بأمتي المتقون، ولا الموالي بأولى الناس بأمتي، إن أولى الناس بأمتي المتقون. إنما أنتم من رجل وامرأة، وأنتم كحِمَام[٥] الصاع، ليس لأحد على أحد فضلٌ إلَّا بالتقوى»[٦].

وعن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «لَينتهينَّ أقوامٌ يفتخرون بفحم من فحم جهنم أو يكونوا[٧] شرًّا عند الله من الجِعلان التي تدفع النَّتْن بأنفها، كلُّكم بنو آدم

---

(١) أورده الذهبي في الميزان ٢/ ٦٢٥ - ٦٢٦ في ترجمة عبد العزيز بن الحارث وقال: آذى نفسه ووضع حديثاً أو حديثين في مسند الإمام أحمد. وقال: وأكثر أجداده لا ذكر لهم لا في تاريخ ولا في أسماء رجال.

(٢) في النسخ: فيهم، والمثبت من النكت والعيون ٥/ ٢٢٧ للماوردي.

(٣) وابن عطية في المحرر الوجيز ٥/ ٥٧ .

(٤) أخرجه عنه الطبري ٢٠/ ٦٠٣ .

(٥) الجمام: الكيل إلى رأس المكيال. القاموس (جمم).

(٦) لم نقف عليه. وقد سلف بمعناه ١٦/ ٨٣ من حديث أبي هريرة ﷺ.

(٧) في (م): يكونون، وفي مصادر التخريج: ليكونن.

وآدم من تراب، إن الله أذهب عنكم عُبِّيَّةَ[١] الجاهلية وفخرها بالآباء. مؤمن تقيٌّ وفاجر شقي»[٢]. خرَّجهما الطبري[٣]. وسيأتي لهذا مزيدُ بيانٍ في «الحجرات» إن شاء اللهُ تعالى[٤].

﴿وَسَوْفَ تُسْـَٔلُونَ﴾ أي: عن الشكر عليه؛ قاله مقاتلٌ والفرَّاء[٥]. وقال ابن جُريج: أي: تُسألون أنت ومَن معك على ما آتاك[٦]. وقيل: تسألون عما عملتم فيه[٧]؛ والمعنى متقارب.

قوله تعالى: ﴿وَسْـَٔلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رُّسُلِنَآ أَجَعَلْنَا مِن دُونِ ٱلرَّحْمَٰنِ ءَالِهَةً يُعْبَدُونَ ﴿٤٥﴾﴾

قال ابن عباس وابنُ زيد: لمَّا أُسريَ برسول الله ﷺ من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى ـ وهو مسجدُ بيتِ المقدس ـ بعث الله له آدمَ ومَن وُلد من المرسلين، وجبريلُ مع النبيِّ ﷺ؛ فأذَّن جبريل ﷺ ثم أقام الصلاة، ثم قال: يا محمد، تقدَّم فصلِّ بهم؛ فلما فرغ رسولُ الله ﷺ، قال له جبريل ﷺ: «سَلْ يا محمدُ مَن أرسلنا مِن قبلك مِن رسلنا: أَجعلنا مِن دون الرحمنِ آلهةً يُعبدون». فقال رسول الله ﷺ: «لا أسأل؛ قد اكتفيت»[٨]. قال ابن عباس: وكانوا سبعين نبيًّا، منهم إبراهيمُ وموسى وعيسى عليهم السلام؛ فلم يسألهم لأنه كان أعلمَ بالله منهم[٩].

---

(١) العبيَّة: الكِبْر. النهاية (عبب).

(٢) أخرجه أحمد (٨٧٣٦)، وأبو داود (٥١١٦)، والترمذي (٣٩٥٥) وقال: حديث حسن غريب.

(٣) لم نقف عليهما عنده.

(٤) عند تفسير الآية (١٣) منها.

(٥) في معاني القرآن ٣/ ٣٤ ، وقول مقاتل في النكت والعيون ٥/ ٢٢٧ .

(٦) النكت والعيون ٥/ ٢٢٧ .

(٧) تفسير الرازي ٢٧/ ٢١٥ .

(٨) ذكره عنهما الواحدي في الوسيط ٤/ ٧٥ ، والبغوي في تفسيره ٤/ ١٤١ ، وأخرجه الطبري ٢٠/ ٦٠٥ عن ابن زيد.

(٩) النكت والعيون ٥/ ٢٢٨ .

في غير رواية ابنِ عباس: فصلَّوا خلف رسول الله ﷺ سبعةَ صفوف، المرسلون ثلاثةُ صفوف، والنبيون أربعة؛ وكان يلي ظهرَ رسول الله ﷺ إبراهيمُ خليل الله، وعلى يمينه إسماعيل، وعلى يساره إسحاق، ثم موسى، ثم سائر المرسلين، فأَمَّهم ركعتين؛ فلمَّا انفتل قام فقال: «إنَّ ربي أوحى إليَّ أنْ أسألَكم: هل أُرسل أحدٌ منكم يدعو إلى عبادةِ غير الله تعالى؟» فقالوا: يا محمد، إنا نشهد أنَّا أُرسلنا أجمعين بدعوة واحدة: أنْ لا إله إلا الله، وأنَّ ما يعبدون من دونه باطل، وأنك خاتمُ النبيين وسيد المرسلين، قد استبان ذلك لنا بإمامتك إيَّانا، وأنْ لا نبيَّ بعدك إلى يوم القيامة، إلا عيسى ابنَ مريم فإنه مأمورٌ أن يتَّبعَ أثرك».

وقال سعيد بن جبير في قوله تعالى: «وَاسْأَلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رُسُلِنَا» قال: لقيَ الرُّسلَ ليلةَ أُسري به[1].

وقال الوليد بن مسلم في قوله تعالى: ﴿وَسْئَلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رُّسُلِنَآ﴾ قال: سألتُ عن ذلك خُلَيد بنَ دَعْلَج[2]، فحدَّثني عن قتادة قال: سألهم ليلةَ أُسري به، لقي الأنبياءَ، ولقي آدم ومالك خازنَ النار.

قلت: هذا هو الصحيح في تفسير هذه الآية. و«مِنْ» التي قبل «رُسُلِنَا» على هذا القولِ غيرُ زائدة.

وقال المبرِّد وجماعةٌ من العلماء: إنَّ المعنى: واسأل أممَ مَن قد أرسلنا من قبلك مِن رسلنا. وروي أنَّ في قراءة ابنِ مسعود: «وَاسْأَلْ الذين[3] أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمْ قَبْلَكَ رُسُلنا»[4]. وهذه قراءةٌ مفسِّرة؛ فـ «مِن» على هذا زائدة، وهو قول مجاهدٍ والسُّدِّيِّ

---

(١) أورده السيوطي في الدر المنثور ٦/ ١٩ ، ونسبه لسعيد بن منصور وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر.

(٢) أبو حَلْبَس، ويقال: أبو عبيد، وأبو عمرو، وأبو عمر، السَّدوسي. محدث بصري ضعيف، نزل الموصل ثم سكن بيت المقدس. مات بحران سنة ١٦٦هـ. السير ٧/ ١٩٥ .

(٣) في النسخ عدا (ف): الذي، وهو خطأ.

(٤) أخرج القراءة الطبري ٢٠/ ٦٠٤ ، وذكرها البغوي في تفسيره ٤/ ١٤١ ، وابن عطية في المحرر الوجيز ٥/ ٥٧ .

والضحاك وقتادة وعطاء والحسن، وابنِ عباس أيضاً. أي: واسأل مؤمني أهلِ الكتابين: التوراة والإنجيل[١].

وقيل: المعنى: سلنا يا محمد عن الأنبياء الذين أرسلنا قبلك[٢]؛ فحذفت «عن»، والوقف على «رُسُلِنَا» على هذا تامّ، ثم ابتدأ بالاستفهام على طريق الإنكار. وقيل: المعنى: واسأل تُبَّاعَ مَن أرسلنا مِن قبلك مِن رسلنا، فحذف المضاف. والخطابُ للنبيِّ ﷺ، والمرادُ أمَّتُه[٣].

﴿أَجَعَلْنَا مِن دُونِ ٱلرَّحْمَٰنِ ءَالِهَةً يُعْبَدُونَ﴾ أخبر عن الآلهة كما أخبر عمن يعقل فقال: «يُعْبَدُونَ» ولم يقل: تُعبد، ولا يُعبدن، لأنَّ الآلهة جرت عندهم مَجرى مَن يعقل، فأجرى الخبرَ عنهم مُجرى الخبرِ عمن يعقل[٤].

وسبب هذا الأمرِ بالسؤال أنَّ اليهود والمشركين قالوا للنبيِّ ﷺ: إنَّ ما جئت به مخالفٌ لمن كان قبلك؛ فأمره الله بسؤاله الأنبياءَ على جهة التوقيف والتقرير؛ لا لأنه كان في شكٍّ منه[٥].

واختلف أهل التأويل في سؤال النبيِّ ﷺ لهم على قولين: أحدهما: أنه سألهم، فقالت الرسل: بُعثنا بالتوحيد؛ قاله الواقدي. الثاني: أنه لم يسألهم؛ ليقينه بالله عزَّ وجلَّ؛ حتى حكى ابنُ زيد أنَّ ميكائيل قال لجبريل: «هل سألك محمدٌ عن ذلك؟ فقال جبريل: هو أشدُّ إيماناً وأعظم يقيناً من أن يسألَ عن ذلك»[٦]. وقد تقدَّم هذا المعنى في الروايتين حسبما ذكرناه.

---

(١) أخرجه الطبري ٢٠/ ٦٠٤ - ٦٠٥ عن مجاهد والسدي والضحاك وقتادة. وينظر النكت والعيون ٥/ ٢٢٨، وتفسير البغوي ٤/ ١٤١، والمحرر الوجيز ٥/ ٥٧.

(٢) ذكر هذا المعنى ابن عطية في المحرر الوجيز ٥/ ٥٧.

(٣) ينظر معاني القرآن للزجاج ٤/ ٤١٤.

(٤) الكلام بنحوه في معاني القرآن للفراء ٣/ ٣٤، وتفسير الطبري ٢٠/ ٦٠٧، والمحرر الوجيز ٥/ ٥٧.

(٥) النكت والعيون ٥/ ٢٢٨.

(٦) المصدر السابق.

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَـٰتِنَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِۦ فَقَالَ إِنِّى رَسُولُ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿٤٦﴾ فَلَمَّا جَآءَهُم بِـَٔايَـٰتِنَآ إِذَا هُم مِّنْهَا يَضْحَكُونَ ﴿٤٧﴾ وَمَا نُرِيهِم مِّنْ ءَايَةٍ إِلَّا هِىَ أَكْبَرُ مِنْ أُخْتِهَا ۖ وَأَخَذْنَـٰهُم بِٱلْعَذَابِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٤٨﴾ وَقَالُوا۟ يَـٰٓأَيُّهَ ٱلسَّاحِرُ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِندَكَ إِنَّنَا لَمُهْتَدُونَ ﴿٤٩﴾ فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمُ ٱلْعَذَابَ إِذَا هُمْ يَنكُثُونَ ﴿٥٠﴾ وَنَادَىٰ فِرْعَوْنُ فِى قَوْمِهِۦ قَالَ يَـٰقَوْمِ أَلَيْسَ لِى مُلْكُ مِصْرَ وَهَـٰذِهِ ٱلْأَنْهَـٰرُ تَجْرِى مِن تَحْتِىٓ ۖ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٥١﴾ أَمْ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْ هَـٰذَا ٱلَّذِى هُوَ مَهِينٌ وَلَا يَكَادُ يُبِينُ ﴿٥٢﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَـٰتِنَآ﴾ لمَّا أعلم النبيَّ ﷺ أنه منتقمٌ له مِن عدوِّه، وأقامَ الحجَّةَ باستشهاد الأنبياء واتفاقِ الكلِّ على التوحيد، أكَّد ذلك بقصة موسى وفرعون، وما كان مِن فرعون من التكذيب، وما نزل به وبقومه من الإغراق والتكذيب، أي: أرسلنا موسى بالمعجزات، وهي التسع الآيات، فَكُذِّب؛ فجُعلت العاقبةُ الجميلة له، فكذلك أنت. ومعنى: ﴿يَضْحَكُونَ﴾ استهزاء وسخرية؛ يوهمون أتباعهم أنَّ تلك الآياتِ سحرٌ وتخييل، وأنهم قادرون عليها.

وقوله: ﴿وَمَا نُرِيهِم مِّنْ ءَايَةٍ إِلَّا هِىَ أَكْبَرُ مِنْ أُخْتِهَا ۖ﴾ أي: كانت آيات موسى من كبار الآيات، وكانت كلُّ واحدةٍ أعظمَ مما قبلها. وقيل: «إِلَّا هِيَ أَكْبَرُ مِنْ أُخْتِهَا» لأن الأُولى تقتضي علماً، والثانيةَ تقتضي علماً، فتُضَمُّ الثانيةُ إلى الأولى فيزداد الوضوح، ومعنى الأُخوَّة: المشاكلة والمناسبة؛ كما يقال: هذه صاحبة هذه، أي: هما قريبتان في المعنى.

﴿وَأَخَذْنَـٰهُم بِٱلْعَذَابِ﴾ أي: على تكذيبهم بتلك الآيات، وهو كقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَخَذْنَآ ءَالَ فِرْعَوْنَ بِٱلسِّنِينَ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ﴾ [الأعراف: ١٣٠]؛ والطوفان والجراد والقُمَّل والضفادع. وكانت هذه الآيات الأخيرة عذاباً لهم وآياتٍ لموسى. ﴿لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ من كفرهم.

﴿وَقَالُوا۟ يَـٰٓأَيُّهَ ٱلسَّاحِرُ﴾ لمَّا عاينوا العذاب قالوا: يا أيها الساحر؛ نَادَوه بما كانوا

ينادونه به من قبل ذلك على حسب عادتهم[١]. وقيل: كانوا يسمُّون العلماءَ سَحَرة، فنادَوه بذلك على سبيل التعظيم. قال ابن عباس: «يا أيُّها السَّاحِر»: يا أيها العالم، وكان الساحر فيهم عظيماً[٢] يُوقِّرونه؛ ولم يكن السحر صفةَ ذمّ.وقيل: يا أيها الذي غَلَبنا بسحره[٣]؛ يقال: ساحرتُه فسحرته، أي: غلبته بالسحر؛ كقول العرب: خاصمته فخصمته، أي: غلبته بالخصومة، وفاضلته ففضلته، ونحوِها. ويحتمل أن يكون أرادوا به الساحرَ على الحقيقة على معنى الاستفهام، فلم يَلُمْهم على ذلك رجاءَ أن يؤمنوا.

وقرأ ابن عامر وأبو حَيْوَة ويحيى بنُ وَثَّاب: «أيُّهُ الساحر» بغير ألفٍ، والهاءُ مضمومة[٤]، وعِلَّتها أنَّ الهاء خُلطت بما قبلها، وأُلزمت ضمَّ الياء الذي أوجبه النداءُ المفرَد. وأنشد الفرَّاء:

يـا أيُّـهُ الـقـلـبُ الـلَّـجُـوجُ الـنَّـفْـسِ أَفقْ عـن البِيض الـحِسَانِ اللُّعْسِ[٥]

فضمَّ الهاءَ حملاً على ضم الياء؛ وقد مضى في «النور» معنى هذا[٦].

ووقف أبو عمرو وابنُ أبي إسحاق ويحيى والكسائي: «أيها» بالألف على الأصل. الباقون بغير ألف[٧]؛ لأنها كذلك وقعت في المصحف.

﴿ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِندَكَ﴾ أي: بما أخبرنا عن عهده إليك إنْ آمنا كشف عنا؛ فسله يكشفْ عنا[٨] ﴿إِنَّنَا لَمُهْتَدُونَ﴾ أي: فيما يستقبل. ﴿فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمُ

(١) الكلام بنحوه في معاني القرآن للزجاج ٤/ ٤١٤ ، والمحرر الوجيز ٥/ ٥٨ .

(٢) ذكر قوله ابن الجوزي في زاد المسير ٧/ ٣٢٠ ، وينظر تفسير الطبري ٢٠/ ٦٠٩ ، والنكت والعيون ٥/ ٢٢٩ ، والوسيط للواحدي ٤/ ٧٦ ، وتفسير البغوي ٤/ ١٤١ .

(٣) تفسير البغوي ٤/ ١٤١ .

(٤) قراءة ابن عامر في السبعة ص٥٨٦ ، والتيسير ص١٦١ - ١٦٢ .

(٥) سلف ١٥/ ٢٢٨ .

(٦) ١٥/ ٢٢٨ . وسلف الشعر والكلام عليه ثمة.

(٧) السبعة ص٥٨٧ ، والتيسير ص٦١ و ١٦٢ .

(٨) تفسير البغوي ٤/ ١٤١ .

﴿ٱلْعَذَابَ﴾ أي: فدعا فكشفنا. ﴿إِذَا هُمْ يَنكُثُونَ﴾ أي: يَنقضُون العهدَ الذي جعلوه على أنفسهم فلم يؤمنوا. وقيل: قولهم: «إِنَّنَا لَمُهْتَدُونَ» إخبارٌ منهم عن أنفسهم بالإيمان؛ فلما كشف عنهم العذابَ ارتدُّوا.

قوله تعالى: ﴿وَنَادَىٰ فِرْعَوْنُ فِى قَوْمِهِۦ﴾ قيل: لمَّا رأى تلك الآيات، خاف مَيلَ القوم إليه، فجمع قومه فقال. فنادى بمعنى: قال؛ قاله أبو مالك[١]. فيجوز أن يكون عنده عظماءُ القِبط، فرفع صوته بذلك فيما بينهم، ثم يُنشر عنه في جموع القبط؛ وكأنه نودي به بينهم. وقيل: إنه أَمر مَن ينادي في قومه؛ قاله ابن جريج[٢]. ﴿قَالَ يَٰقَوْمِ أَلَيْسَ لِى مُلْكُ مِصْرَ﴾ أي: لا ينازعني فيه أحد. قيل: إنه مَلَكَ منها أربعين فرسخاً في مثلها؛ حكاه النقَّاش. وقيل: أراد بالمُلك هنا الإسكندرية[٣].

﴿وَهَٰذِهِ ٱلْأَنْهَٰرُ تَجْرِى مِن تَحْتِىٓ﴾ يعني: أنهار النيل، ومعظمُها أربعة: نهر المِلك، ونهر طولون، ونهر دِمياط، ونهر تِنِّيس[٤]. قال قتادة: كانت جِنَاناً وأنهاراً تجري من تحت قصوره. وقيل: من تحت سريره[٥]. وقيل: «مِنْ تَحْتِي» أي: تصرُّفي نافذٌ فيها من غير صانع[٦]. وقيل: كان إذا أمسك عِنَانه، أمسك النيلُ عن الجَرْي. قال القشيريّ: ويجوز ظهورُ خوارقِ العادة على مدَّعي الرُّبُوبية؛ إذ لا حاجة في تمييز الإله من غير الإله إلى فعلٍ خارق للعادة. وقيل: معنى «وَهَٰذِهِ الْأَنْهَارُ تَجْرِي مِنْ تَحْتِي» أي: القوَّاد والرؤساء والجبابرة يسيرون تحت لوائي؛ قاله الضحاك. وقيل: أراد بالأنهار الأموال، وعبَّر عنها بالأنهار لكثرتها وظهورها. وقوله: «تَجْرِي مِنْ تَحْتِي»

---

(١) النكت والعيون ٥/ ٢٢٩ .

(٢) المصدر السابق، وينظر الكشاف ٣/ ٤٩٢ ، والمحرر الوجيز ٥/ ٥٩ .

(٣) النكت والعيون ٥/ ٢٢٩ ، والقول الثاني حكاه عن مجاهد.

(٤) الكشاف ٣/ ٤٩٢ .

(٥) النكت والعيون ٥/ ٢٣٠ ، وقول قتادة أخرجه الطبري ٢٠/ ٦١٠ .

(٦) ذكره بمعناه الواحدي في الوسيط ٤/ ٧٦ ، والبغوي في تفسيره ٤/ ١٤٢ ونسباه للحسن.

أي: أُفرِّقها على مَن يتبعني؛ لأن الترغيب والقدرة في الأموال دون الأنهار[١].

﴿أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾ عظمتي وقوَّتي وضَعْفَ موسى.وقيل: قدرتي على نفقتكم[٢] وعجزَ موسى. والواو في «وَهَذِهِ» يجوز أن تكونَ عاطفةً للأنهار على «مُلْكُ مِصْرَ» و«تَجْرِي» نصب على الحال منها. ويجوز أن تكون واوَ الحال، واسمُ الإشارة مبتدأ، و«الْأَنْهَارُ» صفة لاسم الإشارة، و«تَجْرِي» خبر للمبتدأ[٣].

وفَتَحَ الياءَ مِن «تَحْتِيَ» أهلُ المدينة والبَزِّيُّ وأبو عمرو، وأسكن الباقون[٤].

وعن الرشيد أنه لمَّا قرأها قال: لأُوَلِّيَنَّها أخسَّ[٥] عبيدي، فولَّاها الخصيب، وكان على وضوئه.و عن عبد الله بنِ طاهر أنه وَلِيَها فخرج إليها، فلمَّا شارفها ووقع عليها بصره، قال: أهذه القريةُ التي افتخر بها فرعونُ حتى قال: «أَلَيْسَ لي مُلْك مِصْرَ»؟! واللهِ لَهي عندي أَقلُّ مِن أنْ أَدخلَها! فثنى عِنانه[٦].

ثم صرَّح بحاله فقال: «أَمْ أَنَا خَيْرٌ» قال أبو عبيدة والسُّدِّي: «أَمْ» بمعنى «بل»[٧]. وليست بحرف عطف؛ على قول أكثرِ المفسرين[٨]. والمعنى: قال فرعون لقومه: بل أنا خيرٌ «مِنْ هَذَا الَّذِي هُوَ مَهِينٌ» أي: لا عِزَّ له؛ فهو يمتهن نفسَه في حاجاته لحقارته وضعفه ﴿وَلَا يَكَادُ يُبِينُ﴾ يعني ما كان في لسانه من العُقدة؛ على ما تقدَّم في «طه»[٩].

---

(١) النكت والعيون ٥/ ٢٣٠ ، وكلام الضحاك منه.

(٢) في النكت والعيون: نفعكم.

(٣) الكشاف ٣/ ٤٩٢ ، وينظر إعراب القرآن للنحاس ٤/ ١١٣ .

(٤) السبعة ص٥٩٠ ، والتيسير ص١٩٧ ، والنشر ٢/ ٣٧٠ .

(٥) في (م): أحسن، وهو خطأ.

(٦) الكشاف ٣/ ٤٩٢ .

(٧) النكت والعيون ٥/ ٢٣٠ ، ومجاز القرآن لأبي عبيدة ٢/ ٢٠٤ ، وأخرج الطبري ٢٠/ ٦٦١-٦٦٢ قول السدي.

(٨) تفسير البغوي ٤/ ١٤٢ .

(٩) ١٤/ ٥١ . ونقلنا ثمة عن ابن كثير قوله: إن اتهام فرعون لموسى بأنه لا يكاد يبين، إنما هو افتراء من =

وقال الفراء[١]: في «أَمْ» وجهان: إن شئتَ جعلتَها من الاستفهام الذي جُعل بـ «أَم» لاتصاله بكلامٍ قبله، وإن شئتَ جعلتَها نَسَقاً على قوله: «أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ».

وقيل: هي زائدة. وروى أبو زيد عن العرب أنهم يجعلون «أَمْ» زائدة؛ والمعنى: أنا خير من هذا الذي هو مهين[٢]. وقال الأخفش: في الكلام حذف، والمعنى: أفلا تبصرون أم تبصرون؛ كما قال:

أيا ظَبْيَةَ الوَعْساءِ بين جُلاجِلٍ وبين النَّقا آأنتِ أمْ أمُّ سالِمِ[٣]

أي: أنتِ أحسن أَم أُمُّ سالم؟

ثم ابتدأ فقال: «أَنَا خَيْرٌ».

وقال الخليل وسيبويه: المعنى: «أَفَلَا تُبْصِرُونَ»، أم أنتم بُصَراء؟ فعطف بـ «أم» على «أَفَلَا تُبْصِرُونَ»؛ لأن معنى «أَمْ أَنَا خَيْرٌ» أي: أم تُبصرون؛ وذلك أنهم إذا قالوا له: أنت خيرٌ منه، كانوا عنده بُصراء[٤].

وروي عن عيسى الثَّقفِيِّ ويعقوبَ الحضرميِّ أنهما وقفا على «أم» على أن يكون التقدير: أفلا تبصرون أم تبصرون؛ فحذف «تبصرون» الثاني. وقيل: مَن وقف على «أم» جعلها زائدة، وكأنه وقف على «تُبْصِرُونَ» مِن قوله: «أَفَلَا تُبْصِرُون». ولا يَتمُّ الكلام على «تُبْصِرُونَ» عند الخليل وسيبويه؛ لأنَّ «أم» تقتضي الاتصالَ بما قبلها. وقال قوم: الوقف على قوله: «أَفَلَا تُبْصِرُونَ» ثم ابتدأ «أَمْ أَنَا خَيْرٌ» بمعنى: بل أنا؛

= فرعون، حمله على هذا الكفرُ والعِناد، وليس عدم الإفصاح من موسى بسبب لثغته بالجمرة؛ لأن موسى عليه السلام سأل الله عزَّ وجلَّ أن يَحُلَّ عقدة من لسانه ليفقهوا قوله، وقد استجاب الله تبارك وتعالى له في ذلك في قوله: ﴿قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَٰمُوسَىٰ﴾ [طه: ٢٦].

(١) في معاني القرآن ٣/ ٣٥ .

(٢) قال ابن الأنباري في البيان ٢/ ٣٥٤ : وزعم أبو زيد أن «أم» زائدة، وليس بشيء . اهـ ونحوه في أمالي ابن الشجري ٣/ ١٠٩ - ١١٠ .

(٣) البيت لذي الرُّمة، وسلف ١/ ٢٨٢ .

(٤) كلام سيبويه في الكتاب ٣/ ١٧٣ ، وينظر معاني القرآن للزجاج ٤/ ٤١٥ ، وأمالي ابن الشجري ٣/ ١١٠ .

وأنشد الفرَّاء[١]:

بدت مِثْلَ قَرْن الشمسِ في رَوْنَقِ الضُّحى وصورتِها أم أنتِ في العين أمْلَحُ

فمعناه: بل أنتِ أملح.

وذكر الفرَّاء[٢] أنَّ بعض القراء قرأ: «أَمَا أَنَا خَيْرٌ»؛ ومعنى هذا: ألستُ خيراً.

وروي عن مجاهدٍ أنه وقف على «أم»، ثم يبتدئ «أَنا خَيْرٌ»[٣]. وقد ذُكر.

قوله تعالى: ﴿فَلَوْلَآ أُلْقِيَ عَلَيْهِ أَسْوِرَةٌ مِّن ذَهَبٍ أَوْ جَآءَ مَعَهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ مُقْتَرِنِينَ ﴿٥٣﴾﴾

قوله تعالى: ﴿فَلَوْلَآ﴾ أي: هلَّا ﴿أُلْقِيَ عَلَيْهِ أَسْوِرَةٌ مِّن ذَهَبٍ﴾ إنما قال ذلك؛ لأنه كان عادةَ الوقت وزِيَّ أهلِ الشرف[٤].

وقرأ حفص: «أَسْوِرَةٌ»[٥] جمع سِوار، كخِمار وأخمرة.

وقرأ أُبَيّ: «أَساوِر» جمع إسوار. وابن مسعود: «أَساوير»[٦]. الباقون: «أَسَاوِرَة» جمع الأَسْوِرة؛ فهو جمع الجمع. ويجوز أن يكون «أَسَاوِرة» جمعَ «إسْوَار»، وأُلحقت الهاءُ في الجمع عوضاً من الياء؛ فهو مِثل: زناديق وزنادقة، وبطاريق وبطارقة، وشِبهِه. وقال أبو عمرو بنُ العَلَاء: واحد الأَساورةِ والأساور والأساوير إسوار[٧]، وهي لغةٌ في سِوَار.

---

(١) في معاني القرآن ١/ ٧٢ . وسلف البيت ٢/ ٢٠٥ .

(٢) في معاني القرآن ٣/ ٣٥ .

(٣) المحرر الوجيز ٥/ ٥٩ .

(٤) النكت والعيون ٥/ ٢٣٠ .

(٥) السبعة ص٥٨٧ ، والتيسير ص١٩٧ .

(٦) المحرر الوجيز ٥/ ٥٩ . وقراءة «أساور» نسبها في القراءات الشاذة ص١٣٥ للأعمش. وقراءة «أساوير» نسبها لأُبي أو عبد الله. وينظر تفسير الطبري ٢٠/ ٦١٥ ، وإعراب القرآن للنحاس ٤/ ١١٤ .

(٧) ذكره عنه بنحوه الطبري في تفسيره ٢٠/ ٦١٥ ، والجوهري في الصحاح (سور).

قال مجاهد: كانوا إذا سوَّدوا[١] رجلاً، سوَّروه بسوارَين، وطوَّقوه بطوقِ ذهب؛ علامةً لسيادته، فقال فرعون: هلَّا أَلقى ربُّ موسى عليه أساورةً من ذهب إن كان صادقاً! ﴿أَوْ جَآءَ مَعَهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ مُقْتَرِنِينَ﴾ يعني: متتابعين؛ في قول قتادة. مجاهد: يمشون معًا[٢]. ابن عباس: يعاونونه على مَن خالفه؛ والمعنى: هلَّا ضمَّ إليه الملائكة التي يزعُم أنها عند ربه حتى يتكثَّرَ بهم ويَصرِفَهم على أمره ونهيه؛ فيكونَ أَهْيَبَ في القلوب. فأَوهمَ قومَه أنَّ رسل الله ينبغي أن يكونوا كرسل الملوك في الشاهد، ولم يَعلم أنَّ رسلَ الله إنما أُيِّدوا بالجنود السماوية؛ وكلُّ عاقلٍ يعلم أنَّ حِفظ الله موسى، مع تفرُّده ووَحدته، من فرعون، مع كثرة أتباعه، وإمدادَ موسى بالعصا واليدِ البيضاء كان أبلغَ مِن أن يكون له أسورةٌ، أو ملائكة يكونون معه أعواناً؛ في قول مقاتلٍ، أو دليلاً على صدقه؛ في قول الكلبي. وليس يَلزم هذا؛ لأن الإعجاز كافٍ، وقد كان في الجائز أن يُكَذَّبَ مع مجيء الملائكة كما كُذِّب مع ظهور الآيات. وذَكَر فرعونُ الملائكة حكايةً عن لفظ موسى؛ لأنه لا يؤمن بالملائكة مَن لا يَعرف خالقهم[٣].

قوله تعالى: ﴿فَٱسْتَخَفَّ قَوْمَهُۥ فَأَطَاعُوهُ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا فَٰسِقِينَ ﴿٥٤﴾﴾

قوله تعالى: ﴿فَٱسْتَخَفَّ قَوْمَهُۥ﴾ قال ابن الأعرابي: المعنى: فاستجهلَ قومَه[٤] ﴿فَأَطَاعُوهُ ۚ﴾ لِخِفَّة أحلامهم وقِلَّة عقولهم؛ يقال: استخفَّه الفرح، أي: أزعجه، واستخفَّه، أي: حمله على الجهل، ومنه: ﴿وَلَا يَسْتَخِفَّنَّكَ ٱلَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ﴾ [الروم: ٦٠]. وقيل: استفزَّهم بالقول فأطاعوه على التكذيب[٥]. وقيل: استخفَّ قومَه،

---

(١) في النسخ عدا (ف): سوروا. والمثبت من (ف)، وهو الموافق لما في تفسير البغوي ٤/ ١٤٢، والكلام منه.

(٢) أخرج قولهما الطبري ٢٠/ ٦١٦.

(٣) النكت والعيون ٥/ ٢٣١، وفيه قول مقاتل والكلبي.

(٤) ياقوتة الصراط ص٤٦٠.

(٥) النكت والعيون ٥/ ٢٣١ عن ابن زياد.

أي: وجدهم خِفَافَ العقول. وهذا لا يدُلُّ على أنه يجب أن يطيعوه، فلا بدَّ من إضمارٍ بعيد، تقديره: وجدهم خفافَ العقول فدعاهم إلى الغَوَاية فأطاعوه. وقيل: استخفَّ قومه وقهرهم حتى اتَّبعوه؛ يقال[1]: استخفَّه خلافُ استثقله، واستخفَّ به: أهانه. ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ﴾ أي: خارجين عن طاعة الله.

قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا آسَفُونَا انْتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٥٥﴾﴾

قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا آسَفُونَا انْتَقَمْنَا مِنْهُمْ﴾ روى الضحَّاك عن ابن عباس: أي: غاظونا وأغضبونا. وروى عنه عليُّ بن أبي طلحة: أي: أسخطونا. قال الماورديّ[2]: ومعناهما مختلف، والفرق بينهما أنَّ السَّخط إظهارُ الكراهة، والغضبَ إرادة الانتقام. القشيريّ: والأسف ها هنا بمعنى الغضب؛ والغضب من الله إمَّا إرادةُ العقوبة، فيكونُ من صفات الذات، وإما عينُ العقوبة، فيكون من صفات الفعل؛ وهو معنى قولِ الماوردي[3].

وقال عمر بنُ ذَرّ: يا أهل معاصي الله، لا تغترُّوا بطول حِلْمِ اللهِ عنكم، واحذَروا أسفه؛ فإنه قال: ﴿فَلَمَّا آسَفُونَا انْتَقَمْنَا مِنْهُمْ﴾. وقيل: «آسَفُونَا» أي: أغضبوا رسُلَنا وأولياءنا المؤمنين[4]؛ نحوُ السَّحَرةِ وبني إسرائيل. وهو كقوله تعالى: ﴿يُؤْذُونَ اللَّهَ﴾ [الأحزاب: ٥٧] و ﴿يُحَارِبُونَ اللَّهَ﴾ [المائدة: ٣٣] أي: أولياءه ورسلَه.

قوله تعالى: ﴿فَجَعَلْنَاهُمْ سَلَفًا وَمَثَلًا لِلْآخِرِينَ ﴿٥٦﴾﴾

قوله تعالى: ﴿فَجَعَلْنَاهُمْ سَلَفًا﴾ أي: جعلنا قومَ فرعونَ سَلَفًا. قال أبو مِجْلَز: «سَلَفاً» لمن عَمِلَ عملَهم، «وَمَثَلًا» لمن [لم] يعملْ عملَهم[5]. وقال مجاهد: «سَلَفًا»

---

(١) قاله الجوهري في الصحاح (خفف).

(٢) في النكت والعيون ٥/ ٢٣١ ، وما قبله منه. وقول ابن عباس رضي الله عنهما أخرجه الطبري ٢٠/ ٦١٧ .

(٣) الصواب إثبات صفة الغضب لله عز وجل بلا تشبيه ولا تمثيل ولا تأويل، على ما يليق بجلال الله وعظمته.

(٤) الوسيط ٤/ ٧٧-٧٨، والنكت والعيون ٥/ ٢٣٢ .

(٥) معاني القرآن للنحاس ٦/ ٣٧٣ ، وما بين حاصرتين منه.

إخباراً لأمة محمدٍ ﷺ، «وَمَثَلًا» أي: عِبرةً لهم. وعنه أيضاً: «سَلَفًا» لكفار قومك يتقدَّمونهم إلى النار. قتادة: «سَلَفًا» إلى النار، «وَمَثَلًا»: عِظةً لمن يأتي بعدهم[١]. والسَّلَف: المتقدِّم؛ يقال سَلَفَ يَسْلُف سَلَفًا؛ مثل: طلب يطلُب[٢] طلباً، أي: تقدَّم ومضى. وسلف له عملٌ صالح، أي: تقدَّم. والقوم السُّلَّاف: المتقدِّمون. وسَلَفُ الرَّجُل: آباؤه المتقدِّمون؛ والجمع: أسلافٌ وسُلَّاف.

وقراءة العامة: «سَلَفًا» بفتح السين واللام: جمع سالف؛ كخادم وخَدَم، وراصد ورَصَد، وحارس وحَرَس. وقرأ حمزة والكِسائي: «سُلُفًا» بضم السين واللام[٣]. قال الفراء[٤]: هو جمع سَلِيف، نحو: سرير وسُرُر. وقال أبو حاتم: هو جمع سَلَف؛ نحو خَشَب وخُشُب، وثَمَر وثُمُر؛ ومعناهما واحد.

وقرأ عليٌّ وابن مسعود وعلقمة وأبو وائلٍ والنَّخَعيُّ وحُميد بنُ قيس: «سُلَفاً» بضم السين وفتح اللام، جمع سُلْفة[٥]، أي: فِرقةٌ متقدِّمة. قال المؤرِّج والنَّضْر بنُ شُمَيل: «سُلَفًا» جمع سُلْفة، نحو غُرْفَة وغُرَف، وطُرْفة وطُرَف، وظُلْمة وظُلَم.

قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا ضُرِبَ ٱبْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ ﴿٥٧﴾﴾

لـمَّا قال تعالى: ﴿وَسْـَٔلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رُّسُلِنَآ أَجَعَلْنَا مِن دُونِ ٱلرَّحْمَٰنِ ءَالِهَةً يُعْبَدُونَ﴾ تعلَّق المشركون بأمر عيسى، وقالوا: ما يريد محمدٌ إلَّا أنْ نتخذَه إلهًا كما اتخذت النصارى عيسى ابنَ مريم إلهًا، قاله قتادة. ونحوُه عن مجاهد؛ قالت: إنَّ قريشًا قالت: إنَّ محمدًا يريد أن نعبُدَه كما عبد قومُ عيسى عيسى؛ فأنزل الله هذه الآية[٦].

---

(١) أخرج هذه الآثار الطبري ٢٠/ ٦٢٠-٦٢١ .

(٢) قوله: يطلب من (ظ)، وهو موافق لما في الصحاح (سلف)، والكلام منه.

(٣) السبعة ص٥٨٧ ، والتيسير ص١٩٧ .

(٤) كلامه في تفسير البغوي ٤/ ١٤٢ ، وينظر معاني القرآن له ٣/ ٣٦ .

(٥) قراءة علي ﷺ في المحرر الوجيز ٥/ ٦٠ ، وقراءة حميد في القراءات الشاذة ص١٣٥ .

(٦) أخرج قولهما الطبري ٢٠/ ٦٢٢ .

وقال ابن عباس: أراد به مناظرةَ عبدِ الله بنِ الزِّبَعْرَى مع النبيِّ ﷺ في شأن عيسى، وأنَّ الضارب لهذا المثل هو عبد الله بنُ الزِّبَعْرَى السَّهْمِيُّ حالةَ كفره؛ لمَّا قالت له قريش: إنَّ محمداً يتلو: ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ﴾ [الأنبياء: ٩٨] الآية، فقال: لو حضرتُه لَرددت عليه؛ قالوا: وما كنتَ تقول له؟ قال: كنت أقول له: هذا المسيحُ تعبده النصارى، واليهودُ تعبد عُزَيْراً، أَفَهما من حَصَب جهنم؟ فعَجِبت قريشٌ من مقالته ورأوا أنه قد خُصِم؛ وذلك معنى قوله: «يَصِدُّونَ»، فأنزل الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا ٱلْحُسْنَىٰٓ أُوْلَٰٓئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ﴾ [الأنبياء: ١٠١].

ولو تأمل ابنُ الزبعرى الآيةَ ما اعترض عليها؛ لأنه قال: «وَمَا تَعْبُدُونَ» ولم يقل: ومن تعبدون، وإنما أراد الأصنام ونحوَها مما لا يَعقِل، ولم يُرد المسيح ولا الملائكةَ وإنْ كانوا معبودين. وقد مضى هذا في آخر سورة الأنبياء[١].

وروى ابنُ عباس أنَّ رسول الله ﷺ قال لقريش: «يا معشر قريش، لا خير في أحدٍ يُعبد من دون الله». قالوا: أليس تزعُمُ أنَّ عيسى كان عبداً نبيًّا وعبداً صالحًا، فإن كان كما تزعم فقد كان يُعبد من دون الله!. فأنزل الله تعالى: ﴿وَلَمَّا ضُرِبَ ٱبْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ﴾[٢]. أي: يَضِجُّون كضجيج الإبلِ عند حمل الأثقال.

وقرأ نافعٌ وابن عامر والكِسائي: «يَصُدُّون». بضم الصاد، ومعناه: يُعرِضون؛ قاله النَّخَعيُّ، وكَسَرَ الباقون[٣]. قال الكسائي[٤]: هما لغتان؛ مثل: يَعْرِشون ويَعْرُشون ويَنِمُّون ويَنُمُّون، ومعناه: يَضِجُّون.

---

(١) ١٤/ ٢٩٠ ، ومضى فيه أثر ابن عباس رضي الله عنهما.

(٢) أخرجه أحمد (٢٩١٨)، والواحدي في أسباب النزول ص٣٩٧ .

(٣) السبعة ص٥٨٧ ، والتيسير ص١٩٧ ، وقول النخعي في النكت والعيون ٥/ ٢٣٤ .

(٤) ذكر قوله النحاس في إعراب القرآن ٤/ ١١٥ ، والبغوي في تفسيره ٤/ ١٤٣ ، وابن عطية في المحرر الوجيز ٥/ ٦٠ .

قال الجوهري[١]: وصَدَّ يَصُدُّ صديداً، أي: ضَجّ. وقيل: إنه بالضم من الصدود وهو الإعراض، وبالكسر من الضجيج؛ قاله قُطْرُب[٢]. قال أبو عبيد: لو كانت من الصدود عن الحقِّ لكانت: إذا قومُك عنه يصدون[٣]. الفرَّاء[٤]: هما سواء؛ منه وعنه. ابنُ المسيّب: يصدون: يَصيحون[٥]. الضحاك: يَعجُّون. ابن عباس: يضحكون[٦]. أبو عبيدة[٧]: مَن ضَمَّ فمعناه: يعدلون؛ فيكون المعنى: من أجل الميل يعدلون. ولا يُعَدَّى «يَصِدُّون» بمن، وَمن كَسَرَ فمعناه: يضِجُّون؛ فـ «من» متصلةٌ بـ «يَصِدُّون» والمعنى: يَضجون منه.

قوله تعالى: ﴿وَقَالُوٓاْ ءَأَٰلِهَتُنَا خَيۡرٌ أَمۡ هُوَۚ مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلَۢاۚ بَلۡ هُمۡ قَوۡمٌ خَصِمُونَ ﴿٥٨﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَقَالُوٓاْ ءَأَٰلِهَتُنَا خَيۡرٌ أَمۡ هُوَۚ﴾ أي: آلهتنا خيرٌ أم عيسى؟ قاله السُّدّيّ. وقال: خاصموه وقالوا: إنَّ كلَّ مَن عُبد من دون الله في النار، فنحن نرضى أن تكونَ آلهتُنا مع عيسى والملائكةِ وعُزير، فأنزل الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتۡ لَهُم مِّنَّا ٱلۡحُسۡنَىٰٓ أُوْلَٰٓئِكَ عَنۡهَا مُبۡعَدُونَ﴾ الآية [الأنبياء: ١٠١][٨]. وقال قتادة: «أَمْ

---

(١) في الصحاح (صدد).

(٢) النكت والعيون ٥/ ٢٣٤ .

(٣) ذكره النحاس في إعراب القرآن ٤/ ١١٥ - ١١٦ ، ثم قال: وفي هذا ردٌّ على الجماعة الذين قراءتهم حجة، وقد خالف بقوله هذا الكسائي والفراء، والذي ذكره من الحجة ليس بواجب؛ لأنه يقال: صددتُ من قوله، أي: لأجل قوله.

(٤) في معاني القرآن ٣/ ٣٧ .

(٥) في (ف) و(م): يضجون. وذكر هذا الأثر والذي بعده البغوي في تفسيره ٤/ ١٤٣ .

(٦) المشهور عن ابن عباس: يضجون؛ كما أخرجه الفراء ٣/ ٣٦ وغيره. وهو في مسند أحمد (٢٩١٨) وقد سلف قريباً تخريجه. وقوله: يضحكون، نسبه في النكت والعيون ٥/ ٢٣٣ لقتادة، وفي تهذيب اللغة ١٢/ ١٠٤ لليث. وينظر المحرر الوجيز ٥/ ٦٠ .

(٧) في مجاز القرآن ٢/ ٢٠٥ .

(٨) أخرجه الطبري ٢٠/ ٦٢٧ .

هُوَ» يعنون محمداً ﷺ[١].

وفي قراءة ابنِ مسعود: «آلِهَتُنَا خَيْرٌ أَمْ هَذَا»[٢]. وهو يقوِّي قولَ قتادة، فهو استفهامُ تقريرٍ في أنَّ آلهتهم خير.

وقرأ الكوفيُّون ويعقوب: «أأَلهتُنا» بتحقيق الهمزتين، وليَّن الباقون[٣]. وقد تقدَّم.

﴿مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًا﴾ حال، أي: جدلين. يعني: ما ضربوا لك هذا المَثَلَ إلَّا إرادةَ الجدل؛ لأنهم علموا أنَّ المراد بحصب جهنم ما اتخذوه من المَوَات[٤].

﴿بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ﴾: مجادِلون بالباطل.

وفي صحيح الترمذِيّ عن أبي أُمامة قال: قال رسول الله ﷺ: «ما ضلَّ قومٌ بعد هُدًى كانوا عليه إلَّا أُوتوا الجدل» ثم تلا رسولُ الله ﷺ هذه الآية: ﴿مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًا بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ﴾[٥].

قوله تعالى: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ وَجَعَلْنَاهُ مَثَلًا لِبَنِي إِسْرَائِيلَ ﴿٥٩﴾ وَلَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَا مِنْكُمْ مَلَائِكَةً فِي الْأَرْضِ يَخْلُفُونَ ﴿٦٠﴾﴾

قوله تعالى: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ﴾ أي: ما عيسى إلَّا عبدٌ أنعم اللهُ عليه بالنبوَّة، وجَعَلَه مَثَلًا لبني إسرائيل، أي: آيةً وعبرةً يُستدلُّ بها على قدرة الله تعالى، فإنَّ عيسى كان من غير أب، ثم جعل إليه من إحياء الموتى وإبراءِ الأَكْمَه والأبرص والأسقامِ كلِّها ما لم يجعل لغيره في زمانه، مع أنَّ بني إسرائيل كانوا يومئذ خيرَ الخلق وأحبَّه إلى الله عزَّ وجلَّ، والناسُ دونهم، ليس أحدٌ عند الله عزَّ وجلَّ مثلَهم. وقيل: المراد بالعبد المنعَم عليه محمدٌ ﷺ، والأوَّلُ أظهر.

---

(١) النكت والعيون ٥/ ٢٣٤ ، وتفسير البغوي ٤/ ١٤٣ ، والمحرر الوجيز ٥/ ١٠٤ .

(٢) الكشاف ٣/ ٤٩٤ .

(٣) السبعة ص٥٨٧ ، والتيسير ص١٩٧ ، وقراءة يعقوب هي من رواية روح كما في النشر ١/ ٣٦٤-٣٦٥ .

(٤) الوسيط للواحدي ٤/ ٧٩ .

(٥) سنن الترمذي (٣٢٥٣) وقال: حديث حسن صحيح. وهو في مسند أحمد (٢٢١٦٤).

﴿وَلَوْ نَشَآءُ لَجَعَلْنَا مِنكُم﴾ أي: بَدَلًا منكم ﴿مَّلَٰٓئِكَةً﴾ يكونون خَلَفًا عنكم؛ قاله السُّدِّيّ. ونحوُه عن مجاهد قال: ملائكةً يَعمُرون الأرضَ بدلاً منكم[١].

وقال الأزهريّ: إنَّ «مِن» قد تكون للبدل؛ بدليل هذه الآية[٢].

قلت: قد تقدَّم هذا المعنى في «براءة»[٣] وغيرِها.

وقيل: لو نشاء لجَعلنا من الإنس ملائكةً وإنْ لم تَجرِ العادةُ بذلك[٤]، والجواهرُ جِنسٌ واحدٌ والاختلافُ بالأوصاف؛ والمعنى: لو نشاء لأسكنا الأرضَ الملائكة، وليس في إسكاننا إيَّاهم السماءَ شرفٌ حتى يُعبدوا، أو يقال لهم: بناتُ الله.

ومعنى «يَخْلُفُونَ»: يخلفُ بعضُهم بعضاً؛ قاله ابن عباس[٥].

قوله تعالى: ﴿وَإِنَّهُۥ لَعِلْمٌ لِّلسَّاعَةِ فَلَا تَمْتَرُنَّ بِهَا وَٱتَّبِعُونِ ۚ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٦١﴾ وَلَا يَصُدَّنَّكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ ۖ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٦٢﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَإِنَّهُۥ لَعِلْمٌ لِّلسَّاعَةِ فَلَا تَمْتَرُنَّ بِهَا﴾ قال الحسن وقتادة وسعيد بنُ جبير: يريد القرآن[٦]؛ لأنه يدلُّ على قُرب مجيء الساعة، أو به تُعلم الساعةُ وأهوالها وأحوالها. وقال ابن عباس ومجاهدٌ والضحاك والسديُّ وقتادة أيضاً: إنه خروجُ عيسى عليه السلام[٧]، وذلك من أعلام الساعة، لأن الله يُنزِله من السماء قُبيلَ قيامِ الساعة، كما أنَّ خروج الدجَّال من أعلام الساعة.

---

(١) أخرج قولهما الطبري ٢٠/ ٦٣٠ .

(٢) ذكر قوله الواحدي في الوسيط ٤/ ١٠٥ .

(٣) ١٠/ ٢٠٧ .

(٤) ينظر النكت والعيون ٥/ ٢٣٥ .

(٥) أخرجه الطبري ٢٠/ ٦٣٠ .

(٦) أخرجه الطبري ٢٠/ ٦٣٤ عن الحسن وقتادة، وذكره عنهما ابن عطية في المحرر الوجيز ٥/ ٦١ ، وذكره الماوردي في النكت والعيون ٥/ ٢٣٥ عن الحسن وسعيد بن جبير.

(٧) أخرج أقوالهم الطبري ٢٠/ ٦٣١ - ٦٣٣ . وقول ابن عباس قطعة من حديث عند أحمد (٢٩١٨)، وسلف بعضه عند الآية (٥٧).

وقرأ ابن عباس وأبو هريرة وقتادة ومالك بنُ دينار والضحاك: «وإِنَّهُ لَعَلَمٌ لِلسَّاعَةِ» بفتح العين واللام[١]، أي: أمارة. وقد روي عن عِكرمة: «وإنه لَلْعَلَم» بلامين[٢]، وذلك خلافٌ للمصاحف.

وعن عبد الله بنِ مسعود قال: لما كان ليلةَ أُسْريَ برسول الله ﷺ، لقي إبراهيمَ وموسى وعيسى عليهم الصلاة والسلام، فتذاكروا الساعة، فبدؤوا بإبراهيم فسألوه عنها، فلم يكن عنده منها علم، ثم سألوا موسى، فلم يكن عنده منها علم؛ فرُدَّ الحديثُ إلى عيسى ابنِ مريم، فقال: قد عُهد إليَّ فيما دون وَجْبَتِها، فأما وجبتُها فلا يعلمُها إلَّا اللهُ عزَّ وجلَّ؛ فذَكَرَ خروجَ الدجال، قال: فأَنزِلُ فأقتُلُه. وذكر الحديث، خرَّجه ابنُ ماجه في سننه[٣].

وفي صحيح مسلم[٤]: «فبينما هو ـ يعني المسيحَ الدجال ـ إذ بعث اللهُ المسيح ابنَ مريم، فيَنزل عند المنارة البيضاءِ شرقيّ دِمَشْق بين مَهْرُودَتَين واضعاً كفَّيه على أجنحة مَلَكين، إذا طأطأ رأسَه قَطَر، وإذا رفعه تحدَّر منه جُمَانٌ كاللؤلؤ، فلا يَحِلُّ لكافر يجد ريحَ نَفَسِه إلَّا مات، ونَفَسُه ينتهي حيث ينتهي طَرْفُه، فيطلبُه حتى يدرِكَه بباب لُدٍّ، فيقتله...» الحديث.

وذكر الثعلبيُّ والزَّمَخْشريُّ وغيرهما من حديث أبي هريرة، أنَّ النبيَّ ﷺ قال: «يَنزل عيسى ابنُ مريم عليه السلام[٥] على ثَنِيَّةٍ من الأرض المقدَّسة، يقال لها: أفِيقُ، بين مُمَصَّرَتَيْن، وشعرُ رأسه دَهين، وبيده حَرْبةٌ يقتل بها الدَّجَّال، فيأتي بيت المقدس

(١) القراءات الشاذة ص١٣٥ - ١٣٦ والمحرر الوجيز ٥/ ٦١ . وقراءة ابن عباس أخرجها الطبري ٢٠/ ٦٣٢ .

(٢) المحرر الوجيز ٥/ ٦١ ، والقراءات الشاذة ص١٣٦ .

(٣) برقم (٤٠٨١). قال البوصيري في الزوائد ٢/ ٣١٢ : هذا إسناد صحيح رجاله ثقات. قوله: وجبتها، أي: قيامها. شرح السندي ٢/ ٥١٧ .

(٤) برقم (٢٩٣٧)، وسلف ٥/ ١٣٧ .

(٥) بعدها في (م): من السماء.

والناسُ في صلاة العصر والإمامُ يَؤمُّ بهم، فيتأخر الإمام، فيقدِّمه عيسى ويصلِّي خلفه على شريعة محمدٍ ﷺ، ثم يقتل الخنازير، ويَكسِر الصليب، ويخرب البِيَعَ والكنائس، ويقتل النصارى إلَّا مَن آمن به»[١].

وروى خالدٌ عن الحسن قال: قال رسول الله ﷺ: «الأنبياء إخوةٌ لِعَلَّات، أُمهاتُهم شَتَّى ودينُهُم واحد، وأنا أوْلَى الناس بعيسى ابنِ مريم، إنه ليس بيني وبينه نبيّ، وإنه أوَّلُ نازلٍ، فيَكسِرُ الصليب، ويقتل الخِنزير، ويقاتلُ الناسَ على الإسلام»[٢].

قال الماورديّ: وحكى ابن عيسى عن قوم أنهم قالوا: إذا نزل عيسى رُفع التكليف؛ لئلَّا يكونَ رسولاً إلى ذلك الزمانِ يأمرُهم عن الله تعالى وينهاهم.

وهذا قول مردودٌ لثلاثة أمور؛ منها: الحديث، ولأنَّ بقاء الدنيا يقتضي [بقاء] التكليفِ فيها، ولأنه يَنزل آمرًا بمعروفٍ وناهياً عن منكر. وليس يُستنكر أنْ يكونَ أَمْرُ الله تعالى له مقصوراً على تأييد الإسلام والأمرِ به والدعاءِ إليه[٣].

قلت: ثبت في صحيح مسلم وابنِ ماجه عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «لَيَنْزِلَنَّ عيسى ابنُ مريم حَكَمًا عادلاً، فليَكْسِرَنَّ الصليب، ولَيَقتُلَنَّ الخِنزير، ولَيَضَعنَّ الجِزية، ولَتُتْرَكَنَّ القِلَاصُ فلا يُسعَى عليها، ولَتَذهَبَنَّ الشحناءُ والتَّباغضُ والتحاسد، ولَيَدْعُوَنَّ إلى المال فلا يقبلُه أحد»[٤]. وعنه قال: قال رسول الله ﷺ: «كيف أنتم إذا

---

(١) الكشاف ٣/ ٤٩٤ ، وتفسير البغوي ٤/ ١٤٤ . وقوله: ممصرتين: هما الثوبان فيهما صفرة خفيفة. النهاية (مصر). وفي الكشاف: وعليه ممصَّرتان.

(٢) النكت والعيون ٥/ ٢٣٥ . وأخرجه أحمد (٩٢٧٠) من حديث أبي هريرة ﷺ بنحوه مطولاً. وهو عند البخاري (٣٤٤٢)، ومسلم (٢٣٦٥) مختصر. قوله: إخوة لِعَلَّات؛ قال الحافظ ابن حجر في الفتح ٦/ ٤٨٩ : العَلَّات؛ بفتح المهملة: الضرائر . . . وأولاد العَلَّات: الإخوة من الأب وأمهاتهم شتَّى. . . ومعنى الحديث أن أصل دينهم واحد ـ وهو التوحيد ـ وإن اختلفت فروع الشرائع. وقيل: أزمنتهم مختلفة.

(٣) النكت والعيون ٥/ ٢٣٥ ، وما سلف بين حاصرتين منه.

(٤) صحيح مسلم (١٥٥): (٢٤٣)، وهو في سنن ابن ماجه (٤٠٧٨) مختصر. وسلف ٥/ ١٥٥ .

نزل ابنُ مريم فيكم وإمامُكم منكم» وفي رواية: «فأَمَّكم منكم». قال ابن أبي ذئب: تدري: ما «أمَّكم منكم؟» قلت: تُخْبِرني، قال: فأمَّكم بكتاب ربِّكم وسُنَّةِ نبيِّكم ﷺ[١].

قال علماؤنا رحمةُ الله عليهم: فهذا نصٌّ على أنه يَنزِل مجدِّدًا لدِين النبيِّ ﷺ للذي دَرَس منه، لا بشرعٍ مبتَدأ، والتكليفُ باقٍ؛ على ما بيَّنَّاه هنا وفي كتاب «التذكرة»[٢].

وقيل: «وَإِنَّهُ لَعِلْمٌ لِلسَّاعَةِ» أي: وإنَّ إحياءَ عيسى الموتى دليلٌ على الساعة وبعثِ الموتى؛ قاله ابنُ إسحاق[٣].

قلت: ويحتمل أن يكون المعنى: «وَإِنَّهُ»: وإنَّ محمدًا ﷺ لَعِلْم للساعة؛ بدليل قوله عليه الصلاة والسلام: «بُعثت أنا والساعة كهاتين» وضَمَّ السَّبَّابةَ والوسطى؛ خرَّجه البخاريُّ ومسلم[٤]. وقال الحسن: أوَّلُ أشراطها محمدٌ ﷺ[٥].

﴿فَلَا تَمْتَرُنَّ بِهَا﴾: فلا تشكُّون فيها؛ يعني: في الساعة؛ قاله يحيى بنُ سلَّام. وقال السُّدِّي: فلا تكذِّبون بها[٦]، ولا تجادلون فيها فإنها كائنةٌ لا محالة. ﴿وَاتَّبِعُونِ﴾ أي: في التوحيد وفيما أُبلِّغكم عن الله. ﴿هَٰذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ﴾ أي: طريقٌ قويم إلى الله، أي: إلى جنته.

وأثبت الياءَ يعقوبُ في قوله: «وَاتَّبِعُونِ» في الحالين، وكذلك «وَأَطِيعُونِ». وأبو عمرٍو وإسماعيلُ عن نافع في الوصل دون الوقف[٧]، وحَذَفَ الباقون في الحالين.

---

(١) صحيح مسلم (١٥٥): (٢٤٤)، (٢٤٦). وسلف ٥/ ١٥٥ . وابن أبي ذئب أحد رجال السند.

(٢) ص٦٧٧ - ٦٧٨ .

(٣) النكت والعيون ٥/ ٢٣٥ .

(٤) صحيح البخاري (٦٥٠٤)، وصحيح مسلم (٢٩٥١) من حديث أنس ﷺ. وسلف ١٢/ ٢٦٨ .

(٥) أورده السيوطي في الدر المنثور ٦/ ٥٠ بلفظ: محمد ﷺ من أشراطها. ونسبه لابن أبي حاتم.

(٦) النكت والعيون ٥/ ٢٣٦ . وأخرجه الطبري ٢٠/ ٦٣٤ بلفظ: فلا تشكون فيها.

(٧) يعني في قوله: ﴿وَاتَّبِعُونِ﴾. وقراءة نافع المشهورة عنه كقراءة الباقين. السبعة ص٥٩٠ ، والتيسير ص١٩٧ ، والنشر ٢/ ٣٧٠ .

﴿وَلَا يَصُدَّنَّكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ﴾ أي: لا تغترُّوا بوساوسه وشُبَهِ الكفار المجادِلين؛ فإنَّ شرائع الأنبياء لم تَختلف في التوحيد، ولا فيما أخبروا به مِن عِلم الساعة وغيرِها بما تضمنته من جنةٍ ونار. ﴿إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾ تقدَّم في «البقرة»[١] وغيرِها.

قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا جَآءَ عِيسَىٰ بِٱلْبَيِّنَٰتِ قَالَ قَدْ جِئْتُكُم بِٱلْحِكْمَةِ وَلِأُبَيِّنَ لَكُم بَعْضَ ٱلَّذِى تَخْتَلِفُونَ فِيهِ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿٦٣﴾ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ رَبِّى وَرَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٦٤﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا جَآءَ عِيسَىٰ بِٱلْبَيِّنَٰتِ﴾ قال ابن عباس: يريد إحياءَ الموتى وإبراءَ الأسقام، وخَلْقَ الطير، والمائدةَ وغيرَها، والإخبارَ بكثيرٍ من الغيوب. وقال قتادة: البيِّنات هنا الإنجيل[٢]. ﴿قَالَ قَدْ جِئْتُكُم بِٱلْحِكْمَةِ﴾ أي: النبوَّة؛ قاله السُّدِّيّ. ابن عباس: عِلمُ ما يؤدِّي إلى الجميل ويَكفُّ عن القبيح. وقيل: الإنجيل؛ ذكره القشيريُّ والماوردي[٣].

﴿وَلِأُبَيِّنَ لَكُم بَعْضَ ٱلَّذِى تَخْتَلِفُونَ فِيهِ﴾ قال مجاهد: مِن تبديل التوراة[٤]. الزَّجاج[٥]: المعنى: لأبين لكم في الإنجيل بعضَ الذي تختلفون فيه من تبديل التوراة. قال مجاهد: وبيَّن لهم في غير الإنجيل ما احتاجوا إليه. وقيل: بيَّن لهم بعضَ الذي اختلفوا فيه من أحكام التوراةِ على قَدْر ما سألوه. ويجوز أن يختلفوا في أشياءَ غيرِ ذلك لم يَسألوه عنها. وقيل: إنَّ بني إسرائيل اختلفوا بعد موت موسى في أشياءَ مِن أمر دينهم وأشياءَ مِن أمر دنياهم، فبيَّن لهم أمرَ دينهم.

---

(١) ٣/ ١٣ .

(٢) النكت والعيون ٥/ ٢٣٦ . وقول قتادة أخرجه الطبري ٢٠/ ٦٣٥ .

(٣) في النكت والعيون ٥/ ٢٣٦ ، وقول ابن عباس نسبه لابن عيسى. وقول السدي أخرجه الطبري ٢٠/ ٦٦٣ .

(٤) أخرجه الطبري ٢٠/ ٦٣٦ .

(٥) معاني القرآن له ٤/ ٤١٨ ، وإعراب القرآن للنحاس ٤/ ١١٨ .

ومذهب أبي عبيدة[١] أنَّ البعض بمعنى الكلّ؛ ومنه قولُه تعالى: ﴿يُصِبْكُم بَعْضُ ٱلَّذِى يَعِدُكُمْ﴾ [غافر: ٢٨]. وأنشد الأخفش قولَ لبيد:

تَـرَّاكُ أمـكـنـةٍ إذا لـم أرضـهـا أو يعتلقْ بعضَ النفوس حِمامُها

والموت لا يعتلق بعضَ النفوس دون بعض[٢]. ويقال للمنيَّة: عَلُوق وعَلَّاقة. قال المفضَّل النُّكْري[٣]:

وسـائـلـةٍ بـثـعـلـبـةَ بـنِ سَـيْـرٍ وقـد عَـلِـقـت بـثـعـلـبـةَ الـعَـلُـوقُ[٤]

وقـال مـقـاتـل: هـو كـقـولـه: ﴿وَلِأُحِلَّ لَكُم بَعْضَ ٱلَّذِى حُرِّمَ عَلَيْكُمْ﴾ [آل عمران: ٥٠]. يعني: ما أُحلَّ في الإنجيل مما كان محرَّماً في التوراة؛ كلحم الإبل والشحمِ مِن كل حَيَوان، وصيدِ السمك يومَ السبت.

﴿فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ﴾ أي: اتقوا الشِّركَ ولا تعبُدوا إلَّا اللهَ وحده؛ وإذا كان هذا قولَ عيسى، فكيف يجوز أن يكونَ إلهًا أو ابنَ إله؟! ﴿وَأَطِيعُونِ﴾ فيما أدعوكم إليه من التوحيد وغيره. ﴿إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ رَبِّى وَرَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ﴾ أي: عبادةُ الله صراطٌ مستقيم، وما سواه معوجٌ لا يؤدِّي سالكَه إلى الحقّ.

قوله تعالى: ﴿فَٱخْتَلَفَ ٱلْأَحْزَابُ مِنۢ بَيْنِهِمْ ۖ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنْ عَذَابِ يَوْمٍ أَلِيمٍ ﴿٦٥﴾ هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا ٱلسَّاعَةَ أَن تَأْتِيَهُم بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٦٦﴾﴾

قوله تعالى: ﴿فَٱخْتَلَفَ ٱلْأَحْزَابُ مِنۢ بَيْنِهِمْ﴾ قال قتادة: يعني ما بينهم، وفيهم قولان: أحدهما: أنهم أهلُ الكتاب من اليهود والنصارى، خالف بعضُهم بعضًا؛

---

(١) في مجاز القرآن ٢/ ٢٠٥.

(٢) النكت والعيون ٥/ ٢٣٧. والبيت في شرح ديوان لبيد ص٣١٣، وسلف ٥/ ١٤٧.

(٣) في (ف) و (م): البكري، وفي (د): الكبرى. وكلاهما خطأ. وهو المفضل بن معشر بن أسحم بن عدي ابن شيبان بن سُود بن عُذرة بن منبِّه بن نُكرة. فضّلته قصيدته التي يقال لها: المُنصِفة. طبقات فحول الشعراء ١/ ٢٧٤ - ٢٧٥. والبيت من هذه القصيدة.

(٤) إصلاح المنطق ص٣٦٨، والصحاح (علق)، ورسالة الصاهل والشاحج ص٤٨٠، واللسان (علق).

قاله مجاهدٌ والسُّدِّيّ. الثاني: فِرَقُ النصارى من النُّسْطُورِية والمَلْكية واليعاقِبة، اختلفوا في عيسى؛ فقالت النُّسطورية: هو ابن الله. وقالت اليعاقبة: هو الله. وقالت المَلْكية: ثالثُ ثلاثةٍ أحدهم الله تعالى؛ قاله الكلبي ومقاتل[١]، وقد مضى هذا في سورة مريم[٢].

﴿فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ أي: كفروا وأشركوا؛ كما في سورة مريم. ﴿مِنْ عَذَابِ يَوْمٍ أَلِيمٍ﴾ أي: أليمٍ عذابُه؛ ومثلُه: ليلٌ نائم؛ أي: يُنام فيه.

﴿هَلْ يَنظُرُونَ﴾ يريد: الأحزابُ لا ينتظرون[٣] ﴿إِلَّا السَّاعَةَ﴾ يريد القيامة ﴿أَن تَأْتِيَهُم بَغْتَةً﴾ أي: فَجْأةً ﴿وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾: يَفطُنون. وقد مضى في غير موضع[٤]. وقيل: المعنى: لا ينتظر مشركو العربِ إلَّا الساعة. ويكون «الأَحْزَابُ» على هذا الذين تحزَّبوا على النبيِّ ﷺ وكذَّبوه من المشركين. ويتَّصل هذا بقوله تعالى: ﴿مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًا﴾ [الآية: ٥٨].

قوله تعالى: ﴿الْأَخِلَّاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ ﴿٦٧﴾﴾

قوله تعالى: ﴿الْأَخِلَّاءُ يَوْمَئِذٍ﴾ يريد: يومَ القيامة. ﴿بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ﴾ أي: أعداء، يعادي بعضُهم بعضًا، ويلعن بعضُهم بعضًا. ﴿إِلَّا الْمُتَّقِينَ﴾ فإنهم أخِلَّاءُ في الدنيا والآخرة؛ قال معناه ابنُ عباس ومجاهدٌ وغيرهما.

وحكى النقَّاش أنَّ هذه الآيةَ نزلت في أميَّة بنِ خَلَف الجُمَحيِّ وعُقْبةَ بن أبي مُعَيْط، كانا خليلين؛ وكان عقبةُ يجالس النبيَّ ﷺ، فقالت قريش: قد صبأ عقبة بنُ أبي مُعَيط؛ فقال له أميَّة: وجهي مِن وجهك حرام إنْ لَقِيتَ محمدًا ولم تَتْفُل في وجهه.

---

(١) النكت والعيون ٥/ ٢٣٧. وقول السدي أخرجه الطبري ٢٠/ ٦٣٨.

(٢) ١٣/ ٤٥١ - ٤٥٤.

(٣) في النسخ الخطية عدا (ق): ينظرون.

(٤) ١/ ٢٩٩.

ففعل عقبةُ ذلك؛ فنذر النبيُّ ﷺ قتلَه، فقتله يوم بدرٍ صَبْرًا، وقُتل أميةُ في المعركة؛ وفيهم نزلت هذه الآية[١].

وذكر الثعلبيُّ عن عليٍّ[٢] ﷺ في هذه الآية. قال: كان خليلان مؤمنان وخليلان كافران، فمات أحدُ المؤمنَين فقال: يا ربّ، إنّ فلانًا كان يأمرني بطاعتك وطاعةِ رسولك، وكان يأمرني بالخير وينهاني عن الشرّ، ويُخْبرني أني ملاقيك، يا ربِّ فلا تُضِلَّه بعدي، واهدِه كما هديتني، وأكرمه كما أكرمتني. فإذا مات خليلُه المؤمن جمع الله بينهما، فيقول الله تعالى: لِيُثْنِ كلُّ واحدٍ منكما على صاحبه، فيقول: يا ربّ، إنه كان يأمرني بطاعتك وطاعة رسولك، ويأمرني بالخير وينهاني عن الشرّ، ويخبرني أني ملاقيك، فيقول الله تعالى: نِعْمَ الخليلُ ونعم الأخُ ونعم الصاحبُ كان. قال: ويموت أحد الكافرَين فيقول: يا رب، إنَّ فلانًا كان ينهاني عن طاعتك وطاعة رسولك، ويأمرني بالشرّ وينهاني عن الخير، ويُخبرني أني غيرُ ملاقيك، فأسألك يا ربِّ ألَّا تَهْدِهِ بعدي، وأنْ تُضِلَّه كما أضللتني، وأن تُهينَه كما أهنتني. فإذا مات خليلُه الكافر قال الله تعالى لهما: لِيُثْنِ كلُّ واحد منكما على صاحبه، فيقول: ياربّ، إنه كان يأمرني بمعصيتك ومعصيةِ رسولك، ويأمرني بالشرّ وينهاني عن الخير، ويخبرني أني غير ملاقيك، فأسألك أنْ تضاعِفَ عليه العذاب؛ فيقول الله تعالى: بِئسَ الصاحبُ والأخ والخليل كنتَ. فيلعنُ كلُّ واحدٍ منهما صاحبَه[٣].

قلت: والآية عامةٌ في كل مؤمن ومُتَّقٍ وكافرٍ ومُضِلّ.

قوله تعالى: ﴿يَٰعِبَادِ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ وَلَآ أَنتُمْ تَحْزَنُونَ ﴿٦٨﴾﴾

قال مقاتل ـ ورواه المعتمر بنُ سليمان عن أبيه ـ: ينادي منادٍ في العَرَصات: «يا

---

(١) النكت والعيون ٥/ ٢٣٨ . وقوله: «ففعل عقبة ذلك» منكر، ونقلنا ١٥/ ٤٠٢ عن عبد الرزاق والطبري أن الله لم يمكّن عقبة مما أراد فعله.

(٢) قوله: عن علي، ليس في (م).

(٣) أخرجه البغوي في تفسيره ٤/ ١٤٥ من طريق الثعلبي. وأخرجه أيضاً الطبري ٢٠/ ٦٤٠ .

عبادي، لا خوفٌ عليكم اليوم»، فيرفع أهلُ العَرَصات[١] رؤوسهم، فيقول المنادي: «الَّذِين آمنوا بِآياتِنا وكانوا مُسْلِمِين» فينكِّس أهلُ الأديان رؤوسَهم غيرَ المسلمين[٢]. وذكر المحاسبيُّ في «الرِّعاية»: وقد روي في هذا الحديثِ أنَّ المنادي ينادي يوم القيامة: «يا عِبادي لا خَوْفٌ عليكمُ اليومَ ولا أنتم تَحزنون» فيرفع الخلائقُ رؤوسهم، فيقولون: نحن عباد الله. ثم ينادي الثانية: «الَّذِين آمنوا بِآياتِنا وكانوا مسْلِمِين» فينكِّس الكفار رؤوسهم، ويبقى الموحِّدون رافعي رؤوسِهم. ثم ينادي الثالثة: «الذين آمنوا وكانوا يتقون» فينكِّس أهل الكبائر رؤوسهم ويبقى أهل التقوى رافعي رؤوسِهم، قد أزال عنهم الخوفَ والحزن كما وعدهم؛ لأنه أكرم الأكرمين، لا يَخذُل وليَّه ولا يُسْلِمه عند الهَلَكة. وقرئ: «يَا عِبَادِ»[٣]

قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا وَكَانُوا۟ مُسْلِمِينَ ﴿٦٩﴾ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ أَنتُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ تُحْبَرُونَ ﴿٧٠﴾﴾

قال الزجَّاج[٤]: «الَّذِينَ» نصب على النعت لـ «عبادي»؛ لأن «عِبَادِي» منادَى مضاف. وقيل: «الَّذِينَ آمَنُوا» [خبر لمبتدإ محذوف، أو][٥] ابتداءٌ وخبره محذوف؛ تقديره: هم الذين آمنوا، أو: الذين آمنوا يقال لهم: «ادْخُلُوا الْجَنَّةَ».

وقرأ أبو بكر وزِرٌّ بن حُبيش: «يَا عِبَادِيَ» بفتح الياء وإثباتها في الحالين؛ وكذلك أثبتها نافعٌ وابن عامر وأبو عمرو ورُوَيْس[٦] ساكنةً في الحالين. وحذفها الباقون في الحالين[٧]؛ لأنها وقعت مثبَتةً في مصاحف أهلِ الشام والمدينة لا غير[٨].

---

(١) في النسخ عدا (ظ): العرصة.

(٢) قول مقاتل في الوسيط للواحدي ٤/ ٨٠ - ٨١ ، ورواية المعتمر أخرجها الطبري ٢٠/ ٦٤١ بنحوها.

(٣) سترد قريباً.

(٤) في معاني القرآن ٤/ ٤١٩ .

(٥) ما بين حاصرتين زيادة لضرورة السياق.

(٦) بخلاف عنه كما في النشر ٢/ ٣٧٠ .

(٧) السبعة ص٥٨٨ ، والتيسير ص١٩٧ .

(٨) المقنع لأبي عمرو الداني ص٣٤ ، والنشر ٢/ ٣٧٠ .

﴿ٱدۡخُلُواْ ٱلۡجَنَّةَ﴾ أي: يقال لهم: أُدخلُوا الجنة، أو: يا عبادي الذين آمنوا ادخلُوا الجنة. ﴿أَنتُمۡ وَأَزۡوَٰجُكُمۡ﴾ المسلمات في الدنيا. وقيل: قرناؤكم من المؤمنين. وقيل: زوجاتُكم[١] من الحور العين. ﴿تُحۡبَرُونَ﴾: تكرمون؛ قاله ابن عباس؛ والكرامة في المنزلة. الحسن: تفرحون، والفرح في القلب. قتادة: تُنعمون؛ النعيم في البدن. مجاهد: تُسرُّون؛ السرور في العين. ابن أبي نَجِيح: تعجبون؛ والعجب هاهنا دَرْكُ ما يُستطرَف. يحيى بن أبي كثير: هو التلذذ بالسَّماع[٢]. وقد مضى هذا في «الروم»[٣].

قوله تعالى: ﴿يُطَافُ عَلَيۡهِم بِصِحَافٖ مِّن ذَهَبٖ وَأَكۡوَابٖۖ وَفِيهَا مَا تَشۡتَهِيهِ ٱلۡأَنفُسُ وَتَلَذُّ ٱلۡأَعۡيُنُۖ وَأَنتُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ٧١﴾

فيه أربعُ مسائل:

الأولى: قوله تعالى: ﴿يُطَافُ عَلَيۡهِم بِصِحَافٖ مِّن ذَهَبٖ وَأَكۡوَابٖۖ﴾ أي: لهم في الجنة أطعمةٌ وأشربة يطاف بها عليهم في صِحافٍ مِن ذهب وأكواب. ولم يَذكر الأطعمةَ والأشربة؛ لأنه يُعلم أنه لا معنى للإطافة بالصِّحاف والأكوابِ عليهم مِن غيرِ أنْ يكونَ فيها شيء[٤]. وذَكَرَ الذهبَ في الصحاف واستغنى به عن الإعادة في الأكواب؛ كقوله تعالى: ﴿وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرٗا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ﴾ [الأحزاب: ٣٥].

وفي الصحيحين[٥] عن حُذيفة أنه سمع النبيَّ ﷺ يقول: «لا تَلبَسوا الحريرَ ولا الدِّيباج، ولا تشربوا في آنية الذهب والفضة، ولا تأكلوا في صِحَافها؛ فإنها لهم في الدنيا ولكم في الآخرة». وقد مضى في سورة الحجِّ[٦] أنَّ مَن أكل فيهما في الدنيا أو

---

(١) في النسخ الخطية: زوجاتهم، والمثبت من (م).

(٢) النكت والعيون ٥/ ٢٣٨. وقول قتادة أخرجه الطبري ٢٠/ ٦٤٢، وعبد الرزاق ٢/ ٢٠٢، وقول يحيى أخرجه عبد الرزاق ٢/ ٢٠١.

(٣) ١٦/ ٤٠٥.

(٤) الكلام بنحوه في تفسير الطبري ٢٠/ ٦٤٥.

(٥) صحيح البخاري (٥٤٢٦)، ومسلم (٢٠٦٧). وهو عند أحمد (٢٣٣١٤).

(٦) ١٤/ ٣٤٧ - ٣٤٨.

لبس الحرير في الدنيا، ولم يتب، حُرم ذلك في الآخرة تحريماً مؤبَّداً. والله أعلم.

وقال المفسرون: يطوف على أدناهم في الجنة منزلةً سبعون ألفَ غلامٍ بسبعين ألفَ صَحْفةٍ من ذهب، يُغْدَى عليه بها في كل واحدةٍ منها لونٌ ليس في صاحبتها، يأكل مِن آخرها كما يأكل من أوَّلها، ويجد طعمَ آخِرها كما يجد طعم أوَّلها، لا يُشبه بعضُه بعضاً، ويُراح عليه بمثلها. ويطوف على أرفعهم درجةً كلَّ يومٍ سبعُ مئةِ ألفِ غلام، مع كل غلامٍ صحفةٌ من ذهب، فيها لونٌ من الطعام ليس في صاحبتها، يأكل من آخرها كما يأكل من أولها، ويجد طعمَ آخرها كما يجد طعم أولها، لا يُشبه بعضُه بعضاً[(١)].

﴿وَأَكْوَابٍ﴾ أي: ويطاف عليهم بأكواب؛ كما قال تعالى: ﴿وَيُطَافُ عَلَيْهِم بِآنِيَةٍ مِّن فِضَّةٍ وَأَكْوَابٍ﴾ [الإنسان: ١٥].

وذَكَرَ ابنُ المبارك[(٢)] قال: أخبرنا مَعْمَر، عن رجل، عن أبي قِلَابة قال: يؤتَون بالطعام والشراب، فإذا كان في آخر ذلك، أُتوا بالشراب الطهور، فَتضْمُرُ لذلك بطونُهم، ويَفيض عرقاً من جلودهم أَطيبَ من ريح المسك؛ ثم قرأ ﴿شَرَابًا طَهُورًا﴾ [الإنسان: ٢١].

وفي صحيح مسلمٍ عن جابر بن عبد الله قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إنَّ أهل الجنة يأكلون فيها ويشربون، ولا يَتْفُلون ولا يبولون ولا يتغوّطون [ولا يمتخِطون]. قالوا: فما بالُ الطعام؟ قال: جُشَاءٌ ورَشْح كرشح المِسك، يُلْهَمون التَّسبيحَ والتحميد ـ والتكبيرَ في رواية ـ كما يلهمون النَّفَس»[(٣)].

الثانية: روى الأئمة من حديث أمِّ سلمة عن النبيِّ ﷺ قال: «الذي يشرب في آنية الذهب والفضة إنما يُجَرجِرُ في بطنه نارَ جهنم»[(٤)]. وقال: «لا تشربوا في آنية الذهب

---

(١) تفسير عبد الرزاق ٢/ ٢٠١، والطبري ٢٠/ ٦٤٣-٦٤٤، وابن أبي حاتم ١٠/ ٣٢٨٦ بنحوه.

(٢) في الزهد (٢٧٤ زوائد نعيم).

(٣) صحيح مسلم (٢٨٣٥)، وهو عند أحمد (١٤٤٠١). وما بين حاصرتين منهما.

(٤) مسند أحمد (٢٦٥٦٨)، وصحيح البخاري (٥٦٣٤)، وصحيح مسلم (٢٠٦٥).

والفضة، ولا تأكلوا في صِحَافها»[١] وهذا يقتضي التحريم، ولا خلاف في ذلك.

واختلف الناس في استعمالها في غير ذلك. قال ابن العربي[٢]: والصحيح أنه لا يجوز للرجال استعمالها في شيء؛ لقول النبيِّ ﷺ في الذهب والحرير: «هذان حرامٌ لذكور أُمتي حِلٌّ لإناثها»[٣]. والنهيُ عن الأكل والشرب فيها يدلُّ على تحريم استعمالها؛ لأنه نوعٌ من المتاع، فلم يَجز؛ أصله الأكل والشرب، ولأن العِلَّة في ذلك استعجالُ أَمرٍ[٤] الآخرة، وذلك يستوي فيه الأكلُ والشرب وسائرُ أجزاءِ الانتفاع؛ ولأنه ﷺ قال: «هي لهم في الدنيا ولنا في الآخرة»[٥]، فلم يجعل لنا فيها حظًّا في الدنيا.

الثالثة: إذا كان الإناءُ مُضَبَّباً بهما أو فيه حَلْقةٌ منهما، فقال مالك: لا يُعجبني أنْ يُشربَ فيه، وكذلك المرآةُ تكون فيها الحلقةُ من الفضة، لا يعجبني أن ينظرَ فيها وجهَه. وقد كان عند أنسٍ إناءٌ مضبَّبٌ بفضة، وقال: لقد سَقيتُ فيه النبيَّ ﷺ. قال ابن سيرين: كانت فيه حلقةُ حديد، فأراد أنسٌ أنْ يجعلَ فيه حلقةَ فِضة؛ فقال أبو طلحة: لا أُغيِّر شيئاً مما صنعه رسولُ الله ﷺ؛ فتركه[٦].

الرابعة: إذا لم يَجز استعمالُها لم يجز اقتناؤها؛ لأنَّ ما لا يجوز استعمالُه لا

---

(١) سلف في المسألة السابقة، وهو من حديث حذيفة ﷺ.

(٢) في أحكام القرآن ٤/ ١٦٧٦.

(٣) أخرجه ابن ماجه (٣٥٩٥) من حديث علي ﷺ. وأخرجه أحمد (٧٥٠)، وأبو داود (٤٠٥٧)، والنسائي ٨/ ١٦٠-١٦١ دون قوله: حل لإناثها.

وله شواهد. منها حديث أبي موسى ﷺ عند أحمد (١٩٥١٥)، والترمذي (١٧٢٠)، والنسائي ٨/ ١٩٠.

(٤) في أحكام القرآن: أجر.

(٥) سلف في المسألة الأولى.

(٦) هو عند البخاري (٥٦٣٨) عن عاصم الأحول قال: رأيت قدح النبي ﷺ عند أنس بن مالك، وكان قد انصدع، فسلسله بفضة... الخ وفيه قول أبي طلحة لأنس: لا تغيرنَّ شيئاً... الخ. وأبو طلحة: هو الأنصاري زوج أم سليم والدة أنس. وقد ساق المصنف لفظ الحديث من أحكام القرآن لابن العربي.

يجوز اقتناؤه، كالصنم والطُّنْبور[١]. وفي كتب علمائنا: أنه يلزم الغُرْمُ في قيمتها لمن كسرها، وهو معنًى فاسد، فإنَّ كَسْرَها واجب، فلا ثمن لقيمتها. ولا يجوز تقويمُها في الزكاة بحال. وغيرُ هذا لا يُلتفت إليه[٢].

قوله تعالى: ﴿بِصِحَافٍ﴾ قال الجوهري: الصَّحْفة كالقَصْعة، والجمع: صِحاف. قال الكِسائي: أعظم القصاع الجَفْنة، ثم القَصْعة تليها تُشبع العشرة، ثم الصحفة تُشبع الخمسة، ثم المِئْكَلة تُشبع الرجلين والثلاثة، ثم الصُّحَيفة تشبع الرجل. والصحيفة: الكتاب، والجمع: صُحُف وصحائف[٣].

قوله تعالى: ﴿وَأَكْوَابٍ﴾ قال الجوهري[٤]: الكوب: كوزٌ لا عُروةَ له، والجمع: أكواب. قال الأعشى يصف الخمر:

صَـريـفِـيَّـةٌ[٥] طَـيِّـبٌ طَـعْـمُـهـا لـهـا زَبَـدٌ بـيـن كُـوبٍ ودَنّ

وقال آخر[٦]:

مُـتَّـكِـئـاً تَـصْـفِـق أبـوابُـه يـسـعـى عـلـيـه الـعَـبْـدُ بـالـكـوبِ

وقال قتادة: الكُوب: المدوَّرُ القصير العنقِ القصيرُ العروة، والإبريق: المستطيل العنق الطويلُ العروة. وقال الأخفش: الأكواب: الأباريق التي لا خراطيم لها. وقال قُطْرُب: هي الأباريق التي ليست لها عُرًى. وقال مجاهد: إنها الآنيةُ المدوَّرةُ الأفواه. السُّدِّي: هي التي لا آذان لها[٧]. ابن عُزيز: «أكواب»: أباريقُ لا عُرَى لها ولا

---

(١) آلة من آلات اللعب واللهو والطرب. المعجم الوسيط (طنب).

(٢) نهاية كلام ابن العربي.

(٣) الصحاح (صحف).

(٤) في الصحاح (كوب).

(٥) في الديوان ص٦٧: صليفية، وهي المعتَّقة كما قال شارحه. والصريفية: نسبة إلى صَريفون: بلدة بواسط منها الخمر الصريفية. أو قيل لها: صريفية؛ لأنها أخذت من الدن ساعتئذ، كاللبن الصريف. القاموس (صرف).

(٦) هو عدي بن زيد، والبيت في تهذيب اللغة ١٠/ ٤٠٠، والصحاح، واللسان (كوب).

(٧) النكت والعيون ٥/ ٢٣٨-٢٣٩، وقول السدي أخرجه الطبري ٢٠/ ٦٤٤-٦٤٥.

خراطيم؛ واحدها كُوب[١].

قلت: وهو معنى قولِ مجاهدٍ والسُّدِّيّ، وهو مذهب أهلِ اللغة أنها التي لا آذان لها ولا عُرًى.

قوله تعالى: ﴿وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ ٱلْأَنفُسُ وَتَلَذُّ ٱلْأَعْيُنُ﴾ روى التِّرمذيُّ عن سليمانَ بنِ بُريدة، عن أبيه: أنَّ رجلاً سأل النبيَّ ﷺ فقال: يا رسول الله، هل في الجنة مِن خيل؟ قال: «إنِ اللهُ أدخلك الجنة، فلا تشاءُ أن تحمِلَ فيها على فرس مِن ياقوتة حمراءَ يطير بك [في الجنة] حيث شئتَ[٢]». قال: وسأله رجلٌ فقال: يا رسول الله، هل في الجنة مِن إبل؟ قال: فلم يقل له مِثلَ ما قال لصاحبه، قال: «إنْ يُدخلكَ اللهُ الجنة، يكن لك فيها ما اشتهت نفسُك ولَذَّت عينُك»[٣].

وقرأ أهل المدينة وابنُ عامر وأهلُ الشام[٤]: «وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ الأَنْفُسُ»، الباقون: «تَشْتَهِي الأَنْفُسُ» أي: تشتهيه الأنفس[٥]؛ تقول: الذي ضربت زيد[٦]، أي: الذي ضربته زيد.

﴿وَتَلَذُّ ٱلْأَعْيُنُ﴾ تقول: لذَّ الشيءُ يَلَذُّ لَذاذاً، ولَذاذة. ولَذِذت بالشيء أَلَذّ ـ بالكسر في الماضي والفتح في المستقبل ـ لَذاذاً ولَذَاذة، أي: وجدته لذيذاً.

---

(١) نزهة القلوب ص٩٨ .

(٢) في رواية أحمد زيادة: إلا ركبت.

(٣) سنن الترمذي (٢٥٤٣)، وما بين حاصرتين منه. وهو عند أحمد (٢٢٩٨٢) كلاهما من طريق المسعودي، عن علقمة بن مَرْثَد، عن ابن بريدة... وخالف المسعوديَّ سفيانُ الثوري ـ كما أخرجه الترمذي عقب الحديث ـ فرواه عن علقمة بن مرثد، عن عبد الرحمن بن سابط مرسلاً. قال الترمذي: وهذا أصح من حديث المسعودي .

وللحديث شواهد.

(٤) في (ز) و(ظ) و(ق): في أهل الشام .

(٥) السبعة ص٥٨٩ ، والتيسير ص١٩٧ ، والنشر ٢/ ٣٧٠ . وقرأ حفص أيضاً عن عاصم مثل قراءة أهل المدينة وابن عامر.

(٦) في النسخ الخطية: زيداً. والمثبت من (م).

والْتذذت به وتلذَّذت به بمعنًى[١]. أي: في الجنة ما تستلَذُّه العينُ، فكان حَسَنَ المَنْظَر. وقال سعيد بن جبير: «وَتَلَذُّ الأَعْيُنُ»: النظر إلى الله عزَّ وجلَّ؛ كما في الخبر: «أسألك لَذَّةَ النظرِ إلى وجهك»[٢]. ﴿وَأَنتُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾: باقون دائمون؛ لأنها لو انقطعت لتبغَّضت.

قوله تعالى: ﴿وَتِلْكَ ٱلْجَنَّةُ ٱلَّتِىٓ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٧٢﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَتِلْكَ ٱلْجَنَّةُ﴾ أي: يقال لهم: هذه تلك الجنةُ التي كانت توصف لكم في الدنيا. وقال ابن خالويه: أشار تعالى إلى الجنة بـ «تلك» وإلى جهنم بـ «هذه»؛ ليخوّفَ بجهنم ويؤكِّدَ التحذيرَ منها. وجعلها بالإشارة القريبةِ كالحاضرة التي يُنظر إليها.

﴿ٱلَّتِىٓ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ قال ابن عباس: خلق الله لكل نَفْسٍ جنةً وناراً؛ فالكافر يرث نارَ المسلم، والمسلمُ يرث جنةَ الكافر[٣]؛ وقد تقدَّم هذا مرفوعاً في ﴿قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ [المؤمنون: ١] من حديث أبي هريرة[٤]، وفي «الأعراف» أيضاً[٥].

قوله تعالى: ﴿لَكُمْ فِيهَا فَٰكِهَةٌ كَثِيرَةٌ مِّنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٧٣﴾﴾

الفاكهة معروفة، وأجناسُها الفواكه، والفاكِهانيُّ: الذي يبيعها. وقال ابن عباس: هي الثمارُ كلُّها، رَطْبُها ويابِسُها، أي: لهم في الجنة سوى الطعامِ والشراب فاكهةٌ كثيرة يأكلون منها.

---

(١) الصحاح (لذذ).

(٢) أخرجه أحمد (١٨٣٢٥)، والنسائي ٣/ ٥٤-٥٥ من حديث عمار بن ياسر رضي الله عنهما مطولاً.

(٣) الوسيط للواحدي ٤/ ٨١.

(٤) ١٥/ ١٥-١٦.

(٥) ٩/ ٢٢٣.

قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُجْرِمِينَ فِى عَذَابِ جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ ﴿٧٤﴾ لَا يُفَتَّرُ عَنْهُمْ وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ ﴿٧٥﴾ وَمَا ظَلَمْنَٰهُمْ وَلَٰكِن كَانُوا۟ هُمُ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٧٦﴾﴾

قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُجْرِمِينَ فِى عَذَابِ جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ﴾ لمَّا ذكر أحوالَ أهل الجنة؛ ذَكَرَ أحوال أهلِ النار أيضاً؛ ليبيِّنَ فضلَ المطيع على العاصي. ﴿لَا يُفَتَّرُ عَنْهُمْ﴾ أي: لا يُخفَّف عنهم ذلك العذاب. ﴿وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ﴾ أي: آيسون من الرحمة. وقيل: ساكتون سكوتَ يأس. وقد مضى في «الأنعام»[1]. ﴿وَمَا ظَلَمْنَٰهُمْ﴾ بالعذاب ﴿وَلَٰكِن كَانُوا۟ هُمُ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ أنفسَهم بالشِّرك. ويجوز: «وَلَكِنْ كَانُوا هُمُ الظَّالِمُونَ» بالرفع على الابتداء والخبر، والجملة خبرُ كان[2].

قوله تعالى: ﴿وَنَادَوْا۟ يَٰمَٰلِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ ۖ قَالَ إِنَّكُم مَّٰكِثُونَ ﴿٧٧﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَنَادَوْا۟ يَٰمَٰلِكُ﴾ وهو خازنُ جهنم، خَلَقَه لِغضبه؛ إذا زجر النارَ زجرةً أكل بعضُها بعضاً.

وقرأ عليٌّ وابن مسعود رضي الله عنهما: «وَنَادَوْا يَا مَالِ». وذلك خلافُ المصحف[3]. وقال أبو الدرداء وابن مسعود: قرأ النبيُّ ﷺ: «وَنَادَوْا يَا مَالِ» باللام خاصة[4]؛ يعني رَخَّم الاسمَ وحذف الكاف. والترخيمُ الحذف، ومنه ترخيم الاسم في النداء، وهو أن يُحذفَ مِن آخره حرفٌ أو أكثر، فتقول في مالك: يا مالِ، وفي حارث: يا حارِ، وفي فاطمة: يا فاطمَ، وفي عائشة: يا عائشَ، وفي مروان: يا مروَ، وهكذا. قال[5]:

---

(١) ٨/ ٣٨١.

(٢) الكلام بنحوه في القراءات الشاذة ص١٣٦. وهي قراءة ابن مسعود كما في معاني القرآن للفراء ٣/ ٣٧، وإعراب القرآن للنحاس ٤/ ١٢١، والمحرر الوجيز ٥/ ٦٤. قال الزجاج في معاني القرآن ٤/ ٤٢٠: لا تقرأنَّ بها لأنها تخالف المصحف.

(٣) القراءات الشاذة ص١٣٦، والمحتسب ٢/ ٢٥٧.

(٤) أخرجها الدوري في قراءات النبي ﷺ ص١٤٦-١٤٧ عن أبي الدرداء رضي الله عنه.

(٥) هو زهير، والبيت في ديوانه ص١٨٠.

يا حارِ لا أُرْمَيَنْ منكم بداهية لم يَلْقَها سُوقةٌ قَبلي ولا مَلِكُ

وقال امرؤ القيس[١]:

أحارِ ترى بَرْقاً أُريك وميضَه كلمع اليدين في حَبِيٍّ مُكلَّلِ

وقال أيضاً[٢]:

أفاطِمَ مهلاً بعضَ هذا التدلُّلِ وإن كنتِ قد أَزمعتِ صَرْمي فأجْمِلِ

وقال آخر[٣]:

يا مَروَ إنَّ مطيَّتي محبوسةٌ ترجو الحِباءَ ورَبُّها لم ييأسِ

وفي صحيح الحديث: «أي فُلُ، هلُمَّ»[٤].

ولكَ في آخر الاسم المرخَّم وجهان: أحدهما: أن تُبْقيَه على ما كان عليه قبل الحذف. والآخر: أن تَبنيَه على الضم؛ مثل: يا زيدُ؛ كأنك أَنزلته منزلتَه ولم تراعِ المحذوف[٥].

وذكر أبو بكر الأنباريُّ قال: حدَّثنا محمد بن يحيى المَرْوَزيُّ قال: حدَّثنا محمد ـ وهو ابن سعدان ـ قال: حدَّثنا حجاجٌ، عن شعبة، عن الحكم بن عتيبة[٦]، عن مجاهد قال: كنا لا ندري ما الزُّخرف حتى وجدناه في قراءة عبدِ الله: «بيتٌ من ذهب»، وكنا لا ندري: «وَنَادَوْا يَا مَالِكُ» أو: يا ملك ـ بفتح اللام وكسرها ـ حتى وجدناه في قراءة عبدِ الله: «وَنَادَوْا يَا مَالِ» على الترخيم[٧]. قال أبو بكر: لا يُعمل

(١) ديوانه ص٢٤ . وسلف ٣/ ٤٢٥ .

(٢) ديوانه ص١٢ .

(٣) هو الفرزدق، والبيت في ديوانه ١/ ٣٨٤ .

(٤) صحيح البخاري (٢٨٤١)، وصحيح مسلم (١٠٢٧): (٨٦) من حديث أبي هريرة مطولاً. وسلف ٨/ ٣٤١ بنحوه. وقوله: فلُ، أي: فلان.

(٥) بنحوه في إعراب القرآن للنحاس ٤/ ١٢١ .

(٦) تحرفت في النسخ إلى: عيينة.

(٧) ذكر قول مجاهد ابن خالويه في القراءات الشاذة ص١٣٦ . وذكر القطعة الثانية منه النحاس في إعراب القرآن ٤/ ١٢١ .

على هذا الحديث؛ لأنه مقطوعٌ لا يُقبل مِثلُه في الرواية عن الرسول عليه الصلاة والسلام؛ وكتابُ الله أحقُّ بأن يُحتاطَ له ويُنفَى عنه الباطل.

قلت: وفي صحيح البخاريِّ عن صَفْوان بنِ يَعْلَى، عن أبيه قال: سمعت النبيَّ ﷺ يقرأ على المنبر: ﴿وَنَادَوْاْ يَٰمَٰلِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ﴾[1] بإثبات الكاف.

وقال محمد بن كعب القُرَظيُّ: بلغني ـ أو ذُكر لي ـ أنَّ أهل النار استغاثوا بالخَزَنَة، فقال الله تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ فِى ٱلنَّارِ لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ ٱدْعُواْ رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْمًا مِّنَ ٱلْعَذَابِ﴾ فسألوا يومًا واحداً يُخفَّف عنهم فيه العذاب؛ فرَدَّت عليهم: ﴿أَوَلَمْ تَكُ تَأْتِيكُمْ رُسُلُكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا بَلَى قَالُوا فَادْعُوا وَمَا دُعَاءُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ﴾ [غافر: ٤٩-٥٠] قال: فلما يَئسوا مما عند الخزنة نَادَوْا مالكًا؛ وهو مُشرِفٌ[2] عليهم وله مجلسٌ في وسطها، وجسورٌ تمرُّ عليها ملائكةُ العذاب؛ فهو يرى أقصاها كما يرى أدناها، فقالوا: «يَا مَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ». قال[3]: سألوا الموت، قال: فسكت عنهم لا يجيبهم ثمانينَ سَنة، قال: والسَّنة سِتُّونَ وثلاثُ مِئةِ يوم، والشهر ثلاثون يوماً، واليومُ كألف سَنةٍ مما تَعدُّون، ثم لحظ إليهم بعد الثمانين فقال: «إِنَّكُمْ مَاكِثُونَ» وذكر الحديث؛ ذكره ابن المبارك.

وفي حديث أبي الدرداء عن النبيِّ ﷺ قال: «فيقولون: ادعوا مالكاً، فيقولون: يا مالك لِيقضِ علينا ربُّك، قال: إنكم[4] ماكثون». قال الأعمش: نُبِّئتُ أنَّ بين دعائهم وبين إجابةِ مالكٍ إياهم ألفَ عام. خرَّجه الترمذي[5].

وقال ابن عباس: يقولون ذلك فلا يجيبهم ألفَ سنة، ثم يقول: إنكم ماكثون.

---

(١) صحيح البخاري (٣٢٣٠). وهو عند أحمد (١٧٩٦١)، ومسلم (٨٧١).

(٢) قوله: مشرف، من (ظ).

(٣) لفظة: قال ليست في (م).

(٤) قبلها في سنن الترمذي: فيجيبهم.

(٥) في سننه (٢٥٨٦)، ورجح وقفه. والأعمش أحد رجال السند.

وقال مجاهد ونَوْفٌ البِكَاليّ: بين ندائهم وإجابته إياهم مئةُ سنة[١]. وقال عبد الله بن عمرو: أربعون سنة؛ ذكره ابن المبارك[٢].

قوله تعالى: ﴿لَقَدْ جِئْنَٰكُم بِٱلْحَقِّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَكُمْ لِلْحَقِّ كَٰرِهُونَ ﴿٧٨﴾﴾

يحتمل أنْ يكونَ هذا من قول مالكٍ لهم، أي: إنكم ماكثون في النار؛ لأننا جئناكم في الدنيا بالحقِّ فلم تقبلوا. ويحتمل أن يكونَ من كلام الله لهم اليوم، أي: بيَّنَّا لكم الأدلةَ وأرسلنا إليكم الرسل[٣].

﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ﴾ قال ابن عباس: «وَلَكِنّ أَكْثَرَكُمْ» أي: ولكنَّ كلَّكم[٤]. وقيل: أراد بالكثرة الرؤساءَ والقادةَ منهم، وأما الأَتباعُ فما كان لهم أثر. ﴿لِلْحَقِّ﴾ أي: للإسلام ودينِ الله ﴿كَٰرِهُونَ﴾.

قوله تعالى: ﴿أَمْ أَبْرَمُوٓا۟ أَمْرًا فَإِنَّا مُبْرِمُونَ ﴿٧٩﴾﴾

قال مقاتل: نزلت في تدبيرهم بالمكر بالنبيِّ ﷺ في دار الندوة، حتى استقرَّ أمرُهم على ما أشار به أبو جهل عليهم أنْ يبرُزَ من كل قبيلةٍ رجلٌ ليشتركوا في قتله، فتَضعُف المطالبةُ بدمه؛ فنزلت هذه الآية، وقتل اللهُ جميعَهم ببدر[٥].

«أَبْرَمُوا»: أحكموا. والإبرام: الإحكام. أبرمت الشيءَ: أحكمته. وأبرم الفِتَال: إذا أحكم الفتل، وهو الفتل الثاني، والأول سَحِيل؛ كما قال:

.... مِـــن سَـــحِـــيـــلٍ ومُـــبْـــرَمِ[٦]

---

(١) قولا ابن عباس ونوف البكالي أخرجهما الطبري ٢٠/ ٦٤٩ ، ٦٥٠ .

(٢) في الزهد (٣١٩ زوائد نعيم) مطولاً. وأخرجه أيضاً الطبري ٢٠/ ٦٤٩ - ٦٥٠ .

(٣) الكلام بنحوه في المحرر الوجيز ٥/ ٦٥ . وينظر الكشاف ٣/ ٤٩٦ .

(٤) الوسيط للواحدي ٤/ ٨٢ .

(٥) ذكره مختصراً الرازي في تفسيره ٢٧/ ٢٢٨ ، وذكره بطوله الماوردي في النكت والعيون ٥/ ٢٤٠ غير أنه لم ينسبه لأحد.

(٦) قائله زهير، وهو في ديوانه ص١٤ ، والبيت بتمامه:

يمينـاً لَنِعـم السـيدان وجدتمـا على كـل حـال من سحيـل ومبرم

فالمعنى: أم أحكموا كيدًا؛ فإنَّا مُحكِمون لهم كَيْدًا؛ قاله ابن زيد ومجاهد. قتادة: أم أجمعوا على التكذيب؛ فإنا مُجمعون على الجزاء بالبعث. الكلبي: أم قَضَوْا أمرًا؛ فإنَّا قاضون عليهم بالعذاب[١]. وأم بمعنى: بل. وقيل: «أَمْ أَبْرَمُوا» عطفٌ على قوله: ﴿أَجَعَلْنَا مِن دُونِ ٱلرَّحْمَٰنِ ءَالِهَةً يُعْبَدُونَ﴾ [الآية: ٤٥]. وقيل: أي: ولقد جئناكم بالحقّ فلم تسمعوا، أم سمعوا فأعرضوا؛ لأنهم في أنفسهم أبرموا أمرًا أمِنُوا به العقاب.

قوله تعالى: ﴿أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَىٰهُم ۚ بَلَىٰ وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ ﴿٨٠﴾﴾

قوله تعالى: ﴿أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَىٰهُمْ﴾ أي: ما يُسِرُّونه في أنفسهم ويتناجَون به بينهم. ﴿بَلَىٰ﴾ نسمع ونعلم. ﴿وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ﴾ أي: الحفظةُ عندهم يكتبون عليهم. ورُوِيَ أنَّ هذا نزل في ثلاثة نفر كانوا بين الكعبة وأستارها؛ فقال أحدهم: أترون أنَّ الله يسمع كلامنا؟ وقال الثاني: إذا جهرتم سَمِع، وإذا أسررتم لم يسمع. وقال الثالث: إن كان يسمع إذا أعلنتم فهو يسمع إذا أسررتم؛ قاله محمد بنُ كعب القُرَظي[٢]. وقد مضى هذا المعنى عن ابن مسعود في سورة فصلت[٣].

قوله تعالى: ﴿قُلْ إِن كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدٌ فَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْعَٰبِدِينَ ﴿٨١﴾ سُبْحَٰنَ رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبِّ ٱلْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٨٢﴾﴾

قوله تعالى: ﴿قُلْ إِن كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدٌ فَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْعَٰبِدِينَ﴾ اختُلف في معناه؛ فقال ابن عباس والحسن والسُّدِّي: المعنى: ما كان للرحمن ولد، فـ «إن» بمعنى «ما»، ويكون الكلام على هذا تامًّا، ثم تبتدئ: «فَأَنَا أَوَّلُ الْعَابِدِينَ» أي: الموحِّدين من أهل مكةَ

(١) النكت والعيون ٥/ ٢٤٠ . وأخرج هذه الآثار ـ عدا قول الكلبي ـ الطبري ٢٠/ ٦٥٢ .

(٢) أخرجه عنه الطبري ٢٠/ ٦٥٣ .

(٣) عند تفسير الآية (٢٢) من سورة فصلت.

على أنه لا ولدَ له. والوقف على «العابِدِين» تام[١].

وقيل: قل يا محمد: إنْ ثبت لله ولد، فأنا أوَّلُ مَن يَعبد ولدَه، ولكن يستحيل أن يكونَ له ولد؛ وهو كما تقول لمن تناظره: إن ثبت ما قلتَ بالدليل، فأنا أوَّلُ مَن يعتقده؛ وهذا مبالغةٌ في الاستبعاد، أي: لا سبيل إلى اعتقاده. وهذا ترقيقٌ في الكلام؛ كقوله: ﴿وَإِنَّآ أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ [سبأ: ٢٤]. والمعنى على هذا: فأنا أوَّل العابدين لذلك الولد، لأنَّ تعظيم الولد تعظيمٌ للوالد.

وقال مجاهد: المعنى: إن كان للرحمن ولد، فأنا أوَّل مَن عبده وحده. على أنه لا ولد له.

وقال السُّدِّيُّ أيضاً: المعنى: لو كان له ولد، كنت أوَّلَ مَن عبده على أنَّ له ولداً؛ ولكن لا ينبغي ذلك.

قال المَهدويّ: فـ «إن» على هذه الأقوالِ للشرط، وهو الأجود، وهو اختيارُ الطبري[٢]؛ لأن كونها بمعنى «ما» يتوهم معه أن المعنى لم يكن له فيما مضى.

وقيل: إنَّ معنى «الْعَابِدِينَ»: الآنِفين. وقال بعض العلماء: لو كان كذلك لكان: العَبِدِين. وكذلك قرأ أبو عبد الرحمن واليماني[٣]: «فَأَنَا أَوَّلُ الْعَبِدِينَ» بغير ألف، يقال: عَبِدَ يَعْبَدَ عَبَدًا ـ بالتحريك ـ إذا أنِف وغضِب، فهو عَبِد، والاسم العَبَدة، مثلُ الأَنفة، عن أبي زيد[٤]. قال الفرزدق:

---

(١) تفسير الطبري ٢٠/ ٦٥٤ - ٦٥٥ ، وزاد المسير ٧/ ٣٣٢ ، والنكت والعيون ٥/ ٢٤١ . وينظر الوقف والابتداء لابن الأنباري ٢/ ٨٨٦ .

(٢) في تفسيره ٢٠/ ٦٥٧ -٦٥٨ ، وفيه أثر مجاهد والسدي ص٦٥٤ ، ٦٥٦ .

(٣) في النسخ الخطية: أبو عبد الرحمن اليماني، والمثبت من (م)، والقراءة في المحتسب ٢/ ٢٥٧ ، ومجمع البيان ٥٢/ ٩٩ . ونسبها ابن عطية في المحرر الوجيز ٥/ ٦٦ لأبي عبد الرحمن. ووقع في القراءات الشاذة ص١٣٧ : أبو عبد الله واليماني، وينظر البحر المحيط ٨/ ٢٨ .

(٤) الصحاح (عبد).

أولئك أحلاسي فجئني بمثلهم وأَعْبَدُ أن أهجُو كُلَيْبًا بدارمِ[١]

ويُنشد أيضاً:

أولئك ناس إن هَجَوني هجوتُهم وأَعْبَدُ أن يُهجى كُلَيْبٌ بدارم[٢]

قال الجوهري[٣]: وقال أبو عمرو: وقوله تعالى: ﴿فَأَنَا أَوَّلُ ٱلْعَٰبِدِينَ﴾ من الأَنَف والغضب، وقاله الكِسائيُّ والقُتَبي، حكاه الماورديُّ عنهما[٤]. وقال الهَرَوِي: وقوله تعالى: ﴿فَأَنَا أَوَّلُ ٱلْعَٰبِدِينَ﴾ قيل: هو من عَبِد يَعْبَد، أي: من الآنفين. وقال ابن عرفة: إنما يقال: عَبِد يَعبَدُ فهو عَبِد؛ وقلَّما يقال: عابد، والقرآن لا يأتي بالقليل من اللغة ولا الشاذِّ، ولكنَّ المعنى: فأنا أوَّلُ مَن يعبدُ الله عزَّ وجلَّ على أنه واحدٌ لا ولد له.

ورُوي أنَّ امرأة دخلت على زوجها فوَلدت منه لستة أشهر، فذُكر ذلك لعثمانَ ﷺ فأمر برجمها؛ فقال له عليٌّ ﷺ: قال الله تعالى: ﴿وَحَمْلُهُۥ وَفِصَٰلُهُۥ ثَلَٰثُونَ شَهْرًا﴾ [الأحقاف: ١٥]. وقال في آية أخرى: ﴿وَفِصَٰلُهُۥ فِى عَامَيْنِ﴾ [لقمان: ١٤] فواللهِ ما عَبِدَ عثمانُ أنْ بعث إليها تُرَدّ. قال عبد الله بن وهب: يعني: ما استنكف ولا أَنِف[٥].

وقال ابن الأعرابي: «فَأَنَا أَوَّلُ العابِدِينَ» أي: الغِضابِ الآنفين. وقيل: «فَأَنَا أَوَّلُ العابِدِينَ» أي: أنا أوَّلُ مَن يعبده على الوحدانية مخالفاً لكم[٦]. أبو عبيدة[٧]: معناه الجاحدين؛ وحُكي: عَبَدَني حَقِّي، أي: جحدني[٨].

---

(١) إصلاح المنطق ص٥٩ ، والصحاح (عبد)، وفصل المقال لأبي عبيد البكري ص٣٨١ . قوله: الأحلاس جمع حِلْس: وهو الكبير من الناس. القاموس (حلس).

(٢) مجاز القرآن ٢/ ٢٠٦ ، وجمهرة الأمثال ١/ ٥١٢ ، واللسان (عبد) باختلاف يسير.

(٣) في الصحاح (عبد).

(٤) في النكت والعيون ٥/ ٢٤١ . وكلام ابن قتيبة في تفسير غريب القرآن له ص٤٠١ .

(٥) أخرجه الطبري ٢٠/ ٦٥٧ .

(٦) ياقوتة الصراط ص٤٦١ - ٤٦٢ .

(٧) في مجاز القرآن ٦/ ٢٠٧ .

(٨) المحرر الوجيز ٥/ ٦٦ .

وقرأ أهل الكوفة إلَّا عاصمًا: «وُلْدٌ» بضم الواو وإسكان اللام. الباقون وعاصم: «وَلَدٌ». وقد تقدَّم[١].

﴿سُبْحَٰنَ رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ أي: تنزيهاً له وتقديساً، نَزَّه نفسه عن كلِّ ما يقتضي الحدوث. وأمرَ النبيَّ ﷺ بالتنزيه. ﴿عَمَّا يَصِفُونَ﴾ أي: عما يقولون من الكذب.

قوله تعالى: ﴿فَذَرْهُمْ يَخُوضُوا۟ وَيَلْعَبُوا۟ حَتَّىٰ يُلَٰقُوا۟ يَوْمَهُمُ ٱلَّذِى يُوعَدُونَ ﴿٨٣﴾﴾

قوله تعالى: ﴿فَذَرْهُمْ يَخُوضُوا۟ وَيَلْعَبُوا۟﴾ يعني كفارَ مكةَ حين كذَّبوا بعذاب الآخرة. أي: اتركهم يخوضوا في باطلهم ويلعبوا في دنياهم ﴿حَتَّىٰ يُلَٰقُوا۟ يَوْمَهُمُ ٱلَّذِى يُوعَدُونَ﴾ إمَّا العذاب في الدنيا أو في الآخرة. وقيل: إنَّ هذا منسوخٌ بآية السيف. وقيل: هو مُحْكَم، وإنما أُخرج مُخرجَ التهديد[٢].

وقرأ ابن مُحيصِن ومجاهدٌ وحُميدٌ وابن القَعقاع وابن السَّمَيْفَع: «حَتَّى يَلْقَوا» بفتح الياء وإسكانِ اللام مِن غير ألف وفتحِ القاف، هنا وفي «الطور» و«المعارج». الباقون: «يُلَاقُوا»[٣].

قوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى فِى ٱلسَّمَآءِ إِلَٰهٌ وَفِى ٱلْأَرْضِ إِلَٰهٌ ۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٨٤﴾﴾

هذا تكذيبٌ لهم في أنَّ لله شريكًا وولدًا، أي: هو المستحِقُّ للعبادة في السماء والأرض. وقال عمر ﷺ وغيرُه: المعنى: وهو الذي في السماء إلهٌ في[٤] الأرض[٥]؛ وكذلك قرأ[٦]. والمعنى[٧]: أنه يُعبد فيهما. وروي أنه قرأ هو وابنُ مسعود وغيرُهما:

---

(١) السبعة ص٤١٢، والتيسير ص١٤٩ - ١٥٠، وتقدم ١٣/ ٥١٩.

(٢) الكلام بنحوه في المصفى بأكف أهل الرسوخ من علم الناسخ والمنسوخ لابن الجوزي ص٤٨.

(٣) قراءة ابن القعقاع في هذه المواضع في النشر ٢/ ٣٧٠، وهي من العشرة، وقراءة ابن محيصن في القراءات الشاذة ص١٣٧.

(٤) في (د) و(ظ): وفي ...

(٥) بعدها في (ظ): إله.

(٦) في (د) و(ظ): قرئ، ولم نقف عليها.

(٧) قبلها في (ظ): ويقرى بغير واو وهو الذي في السماء إله وفي الأرض إله يعني إله السماء والأرض واحد.. (وقع بعدها سواد).

«وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ اللهُ وَفِي الْأَرْضِ اللهُ»[١] وهذا خلاف المصحف. و«إلهٌ» رفع على أنه خبرُ مبتدأ محذوف؛ أي: وهو الذي في السماء هو إله؛ قاله أبو علي[٢]. وحَسُن حذفُه لطول الكلام[٣]. وقيل: «في» بمعنى «على»؛ كقوله تعالى: ﴿وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ ٱلنَّخْلِ﴾ [طه: ٧١] أي: على جذوع النخل؛ أي: هو القادر على السماء والأرض. ﴿وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْعَلِيمُ﴾ تقدَّم[٤].

قوله تعالى: ﴿وَتَبَارَكَ ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَعِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٥﴾﴾

﴿تَبَارَكَ﴾: تفاعل، من البركة. وقد تقدَّم[٥]. ﴿وَعِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ﴾ أي: وقتُ قيامها. ﴿وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ قرأ ابن كثير وحمزة والكِسائي: «وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ» بالياء. الباقون بالتاء[٦]. وكان ابن مُحَيْصِن وحُميدٌ ويعقوب وابن أبي إسحاق يفتحون أوَّله على أصولهم. وضَمَّ الباقون[٧].

قوله تعالى: ﴿وَلَا يَمْلِكُ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِ ٱلشَّفَٰعَةَ إِلَّا مَن شَهِدَ بِٱلْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٨٦﴾﴾

فيه مسألتان:

الأولى: قوله تعالى: ﴿إِلَّا مَن شَهِدَ بِٱلْحَقِّ﴾ «مَنْ» في موضعِ الخفض. وأراد بـ «الذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونه» عيسى وعُزَيراً والملائكة. والمعنى: ولا يملك هؤلاء الشفاعةَ

---

(١) القراءات الشاذة ص١٣٦ ، والمحرر الوجيز ٥/ ٦٦ .

(٢) تفسير الرازي ٢٧/ ٢٣٢ .

(٣) أمالي ابن الشجري ١/ ١١٣ و ٣٣١ بنحوه.

(٤) ١/ ٤٢٩ .

(٥) ٩/ ٢٤٤ .

(٦) السبعة ص٥٨٩ ، والتيسير ص١٩٧ .

(٧) قراءة يعقوب في النشر ٢/ ٣٧٠ ، وهي بالتاء من رواية روح، وبالياء من رواية رويس.

إلَّا لمن شهد بالحقِّ وآمن على علمٍ وبصيرة؛ قاله سعيد بن جبير وغيره[١]. قال: وشهادةُ الحقِّ: لا إله إلا الله.

وقيل: «مَنْ» في محلِّ رفع؛ أي: ولا يملك الذين يدعون من دونه الشفاعةَ ـ يعني الآلهة؛ في قول قتادة[٢]، أي: لا يشفعون لعابديها ـ إلَّا مَن شهد بالحق، يعني عُزيراً وعيسى والملائكة؛ فإنهم يشهدون بالحقِّ والوَحدانيةِ لله[٣]. ﴿وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ حقيقة ما شهدوا به.

وقيل: إنها نزلت بسبب أنَّ النَّضْر بنَ الحارث ونَفَراً من قريش قالوا: إنْ كان ما يقول محمدٌ حقًّا فنحن نتولَّى الملائكة، وهم أحقُّ بالشفاعة لنا منه؛ فأنزل الله: ﴿وَلَا يَمْلِكُ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِ ٱلشَّفَٰعَةَ إِلَّا مَن شَهِدَ بِٱلْحَقِّ﴾[٤] أي: اعتقدوا أنَّ الملائكة أو الأصنام أو الجِنَّ أو الشياطين تشفع لهم، ولا شفاعةَ لأحد يومَ القيامة.

﴿إِلَّا مَن شَهِدَ بِٱلْحَقِّ﴾ يعني المؤمنين إذا أُذِن لهم. قال ابن عباس: «إلَّا مَنْ شَهِدَ بِالْحَقِّ» أي: شَهِد أنْ لا إله إلا اللهُ وأنَّ محمدًا رسولُ الله[٥].

وقيل: أي: لا يملك هؤلاء العابدون من دون الله أن يَشفعَ لهم أحدٌ إلَّا مَن شَهِد بالحق؛ فإنَّ مَن شهد بالحق يَشفع له ولا يَشفع لمشرك. و«إلَّا» بمعنى: لكن، أي: لا ينال المشركون[٦] الشفاعةَ، لكن ينال الشفاعةَ مَن شهد بالحق؛ فهو استثناءٌ منقطع.

---

(١) تفسير البغوي ٤/ ١٤٧ . وأخرجه الطبري ٢٠/ ٦٦١ عن مجاهد، والاستثناء على هذا التأويل منفصل، كما ذكر ابن عطية في المحرر الوجيز ٥/ ٦٧ .

(٢) أخرج قوله الطبري ٢٠/ ٦٦٢ .

(٣) تفسير البغوي ٤/ ١٤٧ ، والاستثناء على هذا التأويل متصل، وهو ما رجحه البغوي وابن عطية، وتكون «مَنْ» في محل رفع على البدلية من «الذين»، ويجوز أيضاً النصب على الاستثناء. ينظر إعراب القرآن للنحاس ٤/ ١٢٢ .

(٤) النكت والعيون ٥/ ٢٤٢ ، وزاد المسير ٧/ ٣٣٣ .

(٥) أخرجه البيهقي في البعث والنشور (٣) دون قوله: وأن محمداً رسول الله.

(٦) في النسخ الخطية: المشركين.

ويجوز أن يكون متصلاً؛ لأن في جملةِ «الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ» الملائكةَ[١]. ويقال: شَفَعْته وشَفَعْت له؛ مثل: كِلْته وكِلْت له. وقد مضى في «البقرة» معنى الشفاعة واشتقاقها[٢]، فلا معنى لإعادتها.

وقيل: «إِلَّا مَنْ شَهِدَ بِالحَقِّ»: إلَّا مَن تشهد له الملائكةُ بأنه كان على الحق في الدنيا، مع علمهم بذلك منه بأنْ يكونَ اللهُ أخبرهم به، أو بأنْ شاهدوه على الإيمان.

الثانية: قوله تعالى: ﴿إِلَّا مَن شَهِدَ بِٱلْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ يدلُّ على معنيين: أحدهما: أنَّ الشهادة[٣] بالحقِّ غيرُ نافعةٍ إلّا مع العلم، وأنَّ[٤] التقليد لا يُغني مع عدم العلمِ بصحة المقالة. والثاني: أنَّ شرط سائرِ الشهادات في الحقوق وغيرِها أن يكونَ الشاهدُ عالماً بها. ونحوُه ما رُوي عن النبيِّ ﷺ «إذا رأيتَ مِثلَ الشمس فاشهد، وإلَّا فَدَعْ». وقد مضى في «البقرة»[٥].

قوله تعالى: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۖ فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٨٧﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ﴾ أي: لَأَقرُّوا بأنَّ الله خلقهم بعد أن لم يكونوا شيئًا. ﴿فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ﴾ أي: كيف ينقلبون عن عبادته وينصرفون عنها حتى أشركوا به غيرَه رجاءَ شفاعتِهم له. يقال: أَفَكَه يَأْفِكُه أَفْكًا؛ أي: قَلَبه وصَرَفه عن الشيء. ومنه قولُه تعالى: ﴿قَالُوٓا۟ أَجِئْتَنَا لِتَأْفِكَنَا عَنْ ءَالِهَتِنَا﴾[٦] [الأحقاف: ٢٢]. وقيل: أي: ولئن سألتَ الملائكةَ وعيسى «مَنْ خَلَقَهُمْ» لَقالوا: الله. «فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ» أي: فأنَّى يُؤفك هؤلاء في ادِّعائهم إياهم آلهةً!

---

(١) الكشاف ٣/ ٤٩٨.

(٢) ٢/ ٧٦.

(٣) في (م): الشفاعة.

(٤) في أحكام القرآن للكيا ٤/ ٣٦٩ ـ والكلام منه ـ: فإن.

(٥) ٤/ ٤٤١.

(٦) الصحاح (أفك).

قوله تعالى: ﴿وَقِيلِهِۦ يَٰرَبِّ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ قَوْمٌ لَّا يُؤْمِنُونَ ﴿٨٨﴾﴾

في «قِيلِهِ» ثلاثُ قراءات: النصب، والجرّ، والرفع. فأمَّا الجرُّ، فهي قراءةُ عاصم وحمزة. وبقية السبعة بالنصب[١]. وأما الرفع؛ فهي قراءة الأعرجِ وقتادةَ وابنِ هُرْمُزٍ[٢] ومسلم بن جُنْدب[٣].

فمن جَرَّ حمله على معنى: وعنده عِلْمُ الساعة وعلمُ قِيلِه.

ومَن نصب فعلى معنى: وعنده عِلم الساعة ويعلم قِيلَه؛ وهذا اختيار الزَّجاج[٤]. وقال الفرَّاء والأخفش[٥]: يجوز أن يكون ﴿قِيلَهُۥ﴾ عطفًا على قوله: ﴿أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَىٰهُمْ﴾ [الآية: ٨٠].

قال ابن الأنباري[٦]: سألتُ أبا العباس محمد بنَ يزيدَ المبرِّد: بأيِّ شيءٍ تَنْصِبُ القيل؟ فقال: أنصبه على «وَعِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيعْلَم قِيلَه». فمن هذا الوجهِ لا يَحسُن الوقفُ على «تُرْجَعُونَ»، ولا على «يَعْلَمُونَ». ويحسُن الوقفُ على «يَكْتُبُونَ». وأجاز الفراءُ والأخفش[٧] أن يُنصبَ القيلُ على معنى: [أنَّا] لا نسمع سِرَّهم ونجواهم وقِيلَه؛ كما ذكرنا عنهما. فمن هذا الوجهِ لا يحسُن الوقف على «يَكْتُبُونَ»[٨].

وأجاز الفراء والأخفش أيضًا[٩] أن يُنصب على المصدر؛ كأنه قال: وقال قِيلَه، وشكا شكواه إلى الله عزَّ وجلَّ، كما قال كعب بن زهير:

---

(١) السبعة ص٥٨٩ ، والتيسير ص١٩٧ .

(٢) هو نفسه الأعرج المذكور، واسمه عبد الرحمن، روى له الجماعة.

(٣) المحتسب ٢/ ٢٥٨ ، والقراءات الشاذة ص١٣٦ ، والبحر ٨/ ٣٠ .

(٤) في معاني القرآن ٤/ ٤٢١ .

(٥) كلام الفراء في معاني القرآن له ٣/ ٣٨ ، وكلام الأخفش في معاني القرآن للزجاج ٤/ ٤٢١ .

(٦) في الوقف والابتداء ٢/ ٨٨٦ .

(٧) كلام الفراء في معاني القرآن له ٣/ ٣٨ ، وكلام الأخفش في إعراب القرآن للنحاس ٤/ ١٢٣ .

(٨) الوقف والابتداء ٢/ ٨٨٧ .

(٩) كلام الفراء في معاني القرآن له ٣/ ٣٨ ، وكلام الأخفش في إعراب القرآن للنحاس ٤/ ١٢٣ .

يمشي الوُشاةُ جَنابَيها وقِيلَهُمُ إنَّك يا ابنَ أبي سُلْمَى لَمقتولُ

أراد: ويقولون قيلَهم[١].

ومَن رفع «قيله»، فالتقدير: وعنده قِيلُه، أو: قِيلُه مسموع[٢]، أو: قِيلُه هذا القولُ.

الزمخشريّ: والذي قالوه ليس بقويٍّ في المعنى، مع وقوع الفصل بين المعطوف والمعطوف عليه بما لا يحسُن اعتراضًا، ومع تنافر النَّظْم. وأقوى من ذلك وأوجهُ أن يكونَ الجرُّ والنصب على إضمار حرفِ القَسَم وحذفِه. والرفع على قولهم: أَيمُنُ الله، وأمانة الله، ويمين الله، ولَعْمرُك، ويكون قولُه: «إِنَّ هَؤُلَاءِ قَوْمٌ لَا يُؤْمِنُونَ» جوابَ القسم؛ كأنه قال: وأقسم بقيله: ياربِّ، أو: قيلهِ: يا ربِّ قَسَمي، إنَّ هؤلاءِ قومٌ لا يؤمنون[٣].

وقال ابن الأنباري[٤]: ويجوز في العربية: «وقيلُه» بالرفع، على أنْ تَرفعَه بـ «إنَّ هؤلاءِ قومٌ لا يؤمنون». المهدوي: أو يكون على تقدير: وقِيلُه قِيلُه يا ربّ؛ فحذف قيله الثاني[٥] الذي هو خبر. وموضع «يا ربّ» نصبٌ بالخبر المضمَر، ولا يمتنع ذلك من حيث امتنع حذفُ بعضِ الموصول وبقي بعضه؛ لأن حذف القول قد كَثُر حتى صار بمنزلة المذكور.

والهاء في «قِيله» لعيسى[٦]، وقيل: لمحمد ﷺ، وقد جرى ذِكْرُه إذ قال: «قُلْ إِنْ كَانَ لِلرَّحْمَنِ وَلَدٌ»[٧].

---

(١) الوقف والابتداء ٢/ ٨٨٧ . وبيت كعب في ديوانه ص٨٩ ، وروايته: يسعى الوشاة بجنبيها وقولهم.

(٢) مشكل إعراب القرآن ٢/ ٦٥٢ .

(٣) الكشاف ٣/ ٤٩٨ .

(٤) في الوقف والابتداء ٢/ ٨٨٧.

(٥) في النسخ الخطية: الأول.

(٦) ضعَّف هذا القول ابن عطية في المحرر الوجيز ٥/ ٦٧ .

(٧) الكلام بنحوه في إعراب القرآن للنحاس ٤/ ١٢٤ . وينظر تفسير الطبري ٢٠/ ٦٦٤ ، ومشكل إعراب القرآن ٢/ ٦٥٢ .

وقرأ أبو قِلابة: «يَاربَّ» بفتح الباء[١]. والقيل مصدر كالقول؛ ومنه الخبر: «نهى عن قِيْلٍ وقال»[٢]. ويقال: قلت قَوْلًا وقِيلًا وقالًا. وفي النساء: ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ قِيلًا﴾ [الآية: ١٢٢].

قوله تعالى: ﴿فَٱصْفَحْ عَنْهُمْ وَقُلْ سَلَٰمٌ ۚ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٨٩﴾﴾

قال قتادة: أمرَه بالصَّفح عنهم، ثم أمره بقتالهم، فصار الصفحُ منسوخاً بالسيف. ونحوُه عن ابن عباس قال: «فَاصْفَحْ عَنْهُمْ»: أَعرِض عنهم. ﴿وَقُلْ سَلَٰمٌ﴾ أي: معروفًا؛ أي: قل لمشركي أهل مكة «فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ» ثم نُسخ هذا في سورة براءةٌ بقوله تعالى: ﴿فَٱقْتُلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ﴾ [الآية: ٥][٣]. وقيل: هي مُحْكَمة لم تُنسخ.

وقراءة العامة: «فَسَوْفَ يعلمون» بالياء؛ على أنه خبرٌ من الله تعالى لنبيِّه بالتهديد. وقرأ نافعٌ وابن عامر: «تَعْلَمُونَ» بالتاء[٤]؛ على أنه من خطاب النبيِّ ﷺ للمشركين بالتهديد. و«سَلَامٌ» رفع بإضمار: عليكم؛ قاله الفرَّاء[٥]. ومعناه: الأمر بتوديعهم بالسلام، ولم يجعله تحيَّةً لهم؛ حكاه النقَّاش. وروى شعيب بن الحَبْحاب أنه عرَّفه بذلك كيف السلامُ عليهم[٦]؛ والله أعلم.

---

(١) مشكل إعراب القرآن ٢/ ٦٥٢ ، والمحرر الوجيز ٥/ ٦٧ ، وهي قراءة شاذة.

(٢) أخرجه مسلم (١٧١٥) من حديث أبي هريرة، وسلف ٥/ ٢٥١ .

(٣) أخرج قولهما النحاس في الناسخ والمنسوخ ٢/ ٦٢٤ ، وقول قتادة أخرجه أيضاً الطبري ٢٠/ ٦٦٥ .

(٤) السبعة ص٥٨٩ ، والتيسير ص١٩٧ .

(٥) في معاني القرآن ٣/ ٣٨ .

(٦) النكت والعيون ٥/ ٢٤٣ .